خُلُق الحياء
في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

الباحث

د/ محمد بن حمد بن حمود العمري الحربي

الأستاذ المساعد

في قسم القرآن وعلومه

كلية العلوم والآداب بعقلة الصقور

جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية

خُلُق الحياء في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية
محمد بن حمد بن حمود العمري الحربي
قسم القرآن وعلومه، كلية العلوم والآداب بعقلة الصقور– جامعة القصيم– المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني:Drmhah761@gmail.com

ملخص البحث

استفتح الباحث بتعريف الحياء لغة واصطلاحًا، ثم ذكر الألفاظ ذات الصلة بالحياء، ثم ذكر أهمية الحياء وفضائله وأنواعه وأقسامه ثم ذكر أصل تولده والأسباب المذهبة له. ثم قسم الآيات الكريمة الواردة في الحياء إلى: آيات نصّت على خلق الحياء، وآيات دلت عليه بمعناها، وآيات كُني بها عما يستحيا منه أو يستقذر، وآيات مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء ثم ذكر تشنيع القرآن الكريم على من لم يتخلق بالحياء. وقد خلص إلى عدة نتائج، من أهمها: إدراك أهمية خُلق الحياء من خلال القرآن الكريم، والأمر به والتوصية بلزومه، وبيان أنواعه وأقسامه، وأصل تولده، والأسباب المذهبة له، وأن الآيات التي ذكرته أو أشارت إليه يمكن تصنيفها تصنيفًا موضوعيًا، تركز كل آيات فيه على عرض موضوع الحياء بأسلوب يحببه إلى العباد بطرق متعددة، وفي تلك الآيات التحذير من الاستخفاف به، أو سلوك الأسباب التي تذهبه.

وأوصت الدراسة بالاهتمام بالمزيد من الدراسات والأبحاث في بيان هذه الخُلق العظيم، ودراسته في القرآن الكريم من جوانب أدبية وبلاغية، ومن خلال مواعظ القرآن الكريم وأمثاله، وقصصه وهداياته. خاصة تلك القصص التي أبرزت الحديث عن خلق الحياء بوضوح وجلاء مثل: (حياء آدم عليه السلام وزوجه، تأذي النبي صلى الله عليه وسلم من جلوس من يجلس في بيته بعد الطعام فيستحيي صلى الله عليه وسلم منهم مع أن ذلك يؤذيه، وحياؤه في إبدائه الرغبة بالزواج من زينب رضي الله عنها، وحياء يوسف عليه السلام في مراودة امرأة العزيز له، وحياء موسى عليه السلام من قومه، وحياء البنتين من موسى، وحياء مريم من قومها حين جاءها المخاض، ومن القصص التي شنعت على من قل حياؤهم قصة قوم لوط عليه السلام) وغيرها من القصص القرآنية العظيمة التي تبين قيمة هذا الخلق النبيل.

الكلمات المفتاحية: الحياء، الآيات، لا يستحي، يُستحيا، خُلق.

The creation of modesty in the light of the Holy Quran is an objective study

Mohammed bin Hamad bin Hamoud Al-Omari Al-Harbi
Quran and Science Section,Faculty of Science and Arts by Obstruction of Falcons, University of Qusaym, Saudi Arabia.
Email: Drmhah761@gmail.com

Abstract

The researcher begins with defining 'modesty', providing both a linguistic definition and a technical one. Then the researcher mentions the vocabulary related to modesty. After that, the importance, virtues, and the different kinds and categories of modesty are discussed. The researcher then considers the origin and the factors that might diminish it. Verses concerning modesty are then divided into: verses that directly refer to modesty, those that refer indirectly to modesty, those that involve euphemism to avoid certain disliked or disgusting terms and verses that praise people with having the virtue of modesty. Finally, verses that condemn those lacking the virtue of modesty.

Some of the significant results that the study has come up are the following. We have to realize, the importance of the trait of modesty through the Holy Quran, and commend it to others command its followers. We should also learn the different types and categories of modesty, how it emerged and the factors that might diminish it. The verses dealing with modesty can be categorized objectively. The verses present the topic of modesty in a manner that attracts people in different ways, such as cautioning against underestimating modesty .

The study recommends that more studies should address this great trait of modesty from a literary and rhetoric perspectives, and through the quranic preaching, sayings and stories; in particular, those stories that foreground the virtue of modesty. Such stories include stories that present modesty of Adam and Eve, the prophet's discomfort of those who sit at his house after they finish a meal, Prophet's shyness proposing to Zainab, modesty of Prophet Joseph when the wife of Alaziz tries to seduce him, modesty of Moses, shyness of the two towards Moses, shyness of Mary towards her people as she delivered Prophet Jesus and the stories that condemn people lacking modesty like the story of Prophet Lot with his people.

Keywords: Modesty, Verses, Indulgence, Resentment, Creation.

مقدمة

إن الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد؛

فإن الله عز وجل أنزل هذا القرآن العظيم ليكون دستوراً للأمة، ومنهجاً للحياة، فيه الصلاح والفلاح في أمور الدنيا والدين، وهو النور والشفاء قال عز وجل: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:٨٩] أي: بياناً بليغاً لكل شيء من أمور الدين، وما تتوقف عليه مصالح المسلمين؛ لذا قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "كل شيء علمه في القرآن، إلا أن آراء الرجال تعجز عنه"(١).

وما من خير إلا دلنا عليه كتاب الله، وما من شر إلا وحذرنا منه، وإن من جملة الخير الذي هدانا له القرآن خلق الحياء، ذلكم الخُلق النبيل العزيز، يكفيه شرفًا أن الله سبحانه من حبه له تخلق به –حياءً يليق بجلاله وعظمته– قال –صلى الله عليه وسلم– واصفًا ربه سبحانه: "إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين"(٢).

وكان نبي الهدى عليه الصلاة والسلام حييًا حتى قال من وصفه: "أشد

---

(١) لم أعثر عليه في كتب السنن والآثار، وقد أورده السمرقندي في بحر العلوم ٢٨٧/٢.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥٥٦/٥، كتاب أبواب الدعوات، ح(٣٥٥٦)، وعنه ابن حبان في صحيحه ١٦٠/٣، باب ذكر الإخبار عما يستحب للمرء عند إرادة الدعاء رفع اليدين، ح(٨٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٢٨/٢ ح(١٦٣٥) ، وقال: "رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين".

حياءً من العذراء في خدرها"[١]، وكان–صلى الله عليه وسلم– يحب الحياء ويأمر به، ويخبر بنتائجه وثمراته فيقول: "الحياء لا يأتي إلا بخير"[٢].

والحياء أبهى زينةٍ يُتزين بها كما قال صلى الله عليه وسلم: "ما كان الفحش في شيءٍ قطَّ إلَّا شانه، وما كان الحياء في شيءٍ قطَّ إلَّا زانه"[٣] فالحياء زينةٌ، ونزعه عيبٌ كبيرٌ عمَّن نُزع عنه. والحياء هو الخلق البارز في الإسلام، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء"[٤].

وهذا الخلق العظيم هو دليل الحياة، ومنها اشتق اسمه، فمن لا حياء عنده كأنما فقد الحياة بأسرها، قال ابن القيم – رحمه الله –: "فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا، شقي في الآخرة"[٥].

ولولا الحياء لم تؤدّ كثير من الفرائض، ولم تراعَ لكثير من الخلق حقوق، وبقدر تمكنه يكثر الخير ويقل الشر، فالحياء آمر لصاحبه بالخير، زاجر له عن الشر[٦]، ولمنزلة الحياء العظيمة فقد اهتم به القرآن غاية الاهتمام، في أوامره ونواهيه، وأحكامه وتوجيهاته، وآدابه، وقصصه وأمثاله، بل حتى في

---

(١) صحيح البخاري ١٩٠/٤، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ح(٣٥٦٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري ٢٩/٨، كتاب الأدب، باب الحياء، ح(٦١١٧).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٩/٤، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، ح(١٩٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٩٧٤/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٣٩٩/٢، كتاب الزهد، باب الحياء، ح(٤١٨٢)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه ٤٠٦/٢: "حسن".

(٥) الجواب الكافي لابن القيم ص٧١.

(٦) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ص٢٧٧. بتصرف.

اختيار ألفاظه ومفرداته فقد جاءت على أعلى المستويات التي تتوافق مع الذوق العظيم، والأدب الوافر، والخُلق الرفيع.

وجاءت آيات في كتاب الله تعالى تنص على خلق الحياء، وأخرى تدل عليه بمعناها، ووردت آيات تثني على المتخلقين بهذا الخلق الراقي، وأخرى تشنع على من افتقده، وتبين خسارته وشقاوته. وسيقت قصص في كتاب الله تعالى فيها مدح وثناء على أهل الحياء، وقصص أخرى في سياق الذم لمن ليسوا أهلا للحياء ولا متصفين به. ومن تأمل منهج القرآن في الاهتمام بالحياء وتربية المؤمنين عليه، واختيار الألفاظ التي تتوافق معه علم جلالة قدره عند الله، وفي شرع الله.

وإني في هذا البحث حاولت جاهدا تسليط الضوء على الآيات التي تدل على الحياء نصًا أو معنى، أو التزامًا وتضمنًا؛ لتجلية اهتمام الشرع بهذا الخلق الذي يحتاجه المسلمون في كل زمن وفي هذا الزمن بوجه أخص؛ نظرا لما انتشر من المشاهد المؤلمة والدعوات الفاجرة، ولما لُبّس على البسطاء مما ينافي الحياء ويضاده. ويكفي المؤمن حين يقلب طرفه فيما يُعرض من مرئي ومسموع أن يلحظ فيه مستوى الموافقة مع خلق الحياء والأدب الشرعي فإن لم يوافقه فلا خير له فيه. وإني على ثقة عالية أن الوالدين والمربين والمعلمين لو اهتموا – حق الاهتمام – بغرس هذا الخُلق العظيم في نفوس الناشئة؛ لفشلت كثير من دعوات الباطل، وتيارات الانحراف، وموجات الفتن بأنواعها، بل وئدت في مهدها، وماتت في صغرها. ولتكوّن لدى الجيل قوة ممانعة صلبة لا تتسلل من خلالها إلى نفوسهم البريئة، وقلوبهم الرهيفة.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع في تسليطه الضوء على صفة تزيد في

الإيمان، وتثمر العمل الصالح، وتقود إلى الجنة: إنها صفة "الحياء"، فهذا الخلق الكريم من الإيمان، وهذا من أعظم فضائل الحياء، والإيمان والحياء لا يفترقان، فالحياء شعبة من الإيمان، وجزء لا يتجزأ منه، ولذا وقع الاختيار على الآيات الدالة عليه، وسيتبين من خلال البحث تقسيم الآيات حسب دلالاتها على موضوع الحياء.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الموضوع السابق ذكرها.

٢- التعبد لله تعالى بمدارسة ما ورد في كتاب الله تعالى من الحث على هذا الخُلق النبيل.

٣- بيان أهمية البحث في هذه الآيات؛ ليتدبرها المسلمون، ويتأملوها ويمتثلوا أوامرها ونواهيها.

٤- المساهمة الفاعلة في إيقاظ المشاعر الإيمانية عند جيلنا المسلم الصاعد -بإذن الله- ليتسلح بسلاح الإيمان والتقوى الذي يثمر العمل الصالح، والبعد عن المنكرات.

٥- الحاجة الماسة لبيان الرباط الوثيق بين تحقيق عبودية الله والتزام الحياء.

٦- كثرة المغريات والفتن في هذا الزمن خاصة ومنشؤها التفريط في التخلق بهذا الخلق، الأثر الإيجابي الكبير الذي يجنيه الفرد والمجتمع إذا تخلق بالحياء.

٧- حاجة المكتبة الإسلامية لبيان ما يوجه به القرآن الكريم لحماية المسلمين من الرذائل.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في عدد من التساؤلات على النحو التالي:

١- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بخلق الحياء؟
٢- ما هي الآيات التي نصّت على بيان خلق الحياء؟
٣- ما هي الآيات التي دلت بمعناها على خلق الحياء؟
٤- ما هي الآيات التي كني بها عما يستحيا منه، أو يستقذر؟
٥- ما هي الآيات التي مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء؟
٦- هل شنع القرآن الكريم على من لم يتخلق بخُلق الحياء؟

أهداف البحث:

يهف البحث إلى الإجابة على التساؤلات السابقة، وذلك من خلال بيان ما يلي:

١- بيان مدى اهتمام القرآن الكريم بخلق الحياء.
٢- بيان الآيات التي نصّت على بيان خلق الحياء.
٣- بيان الآيات التي دلت بمعناها على خلق الحياء.
٤- بيان الآيات التي آيات كني بها عما يستحيا منه، أو يستقذر.
٥- بيان الآيات التي مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء.
٦- بيان تشنيع القرآن الكريم على من لم يتخلق بخُلق الحياء.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، فقد وقف الباحث على عدد من الدراسات المتعلقة بالبحث، وسوف أشير إليها ثم أبين ما تضيفه دراستي بعد ذلك باختصار حتى لا يطول البحث، ومن هذه الدراسات ما يلي:

١- **فقه الحياء في ضوء الكتاب والسنة**، د. أحمد عبدالسلام أبوالفضل، بحث مقدم لجامعة المنصورة لنيل درجة الدكتوراه العالمية عام ٢٠١٢م.

٢- **تعزيز قيمة الحياء في الكتاب والسنة**، د. أمل بنت سليمان الغنيم، بحث محكم مقدم لجامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣- **خلق الحياء في الكتاب والسنة وتطبيقاته التربوية**، للباحث: فهد بن عبدالله بن فائز الشهري، بحث مقدم لجامعة أم القرى- كلية التربية لنيل درجة الماجستير عام ١٤٢٠هـ.

٤- **خلق الحياء في ضوء القرآن والسنة النبوية**، للباحثة: لبنى خالد محمود إسماعيل، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير من جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين. عام ٢٠١٢م.

٥- **رسائل قصيرة**، وكتيبات ليست محكمة: مثل: **الحياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية** للشيخ سليم الهلالي، **الحياء قرين الإيمان** للدكتورة أسماء بنت راشد الرويشد، **الحياء وأثره في حياة المسلم** للشيخ عبدالله الجار الله، و**الحياء خلق الإسلام** للدكتور محمد بن إسماعيل المقدم.

وهذه الدراسات التي اطلعت عليها – بعد محاولات الاستقصاء لكل ما كتب في هذا الموضوع – تبين لي من خلال النظر فيها عدة أمور:

١- أنه لم يُدرس فيها –خلق الحياء– دراسة تفسيرية موضوعية، بل دُرس دراسة عامة في ضوء الكتاب والسنة، وبعض الدراسات عرضته من جهة تربوية، أما هذه الدراسة فقد اقتصرَت على تفسير الآيات التي ذُكر فيها خلق الحياء، أو دلت عليه عند تفسيرها والتأمل معناها.

٢- فات الدراسات السابقة بعض الآيات التي تدل بمعناها على خلق الحياء، ومن هذه الآيات، من مثل: قوله تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)} [النساء: ١٠٨].

وقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) } [النور: ٣٠، ٣١].

وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)} [السجدة: ١٢].

وقوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)} [التحريم: ٣].

ما تضيفه هذه الدراسة:

إذا كانت الدراسات السابقة تميزت بالحديث عن خلق الحياء من ناحية حديثية أو تربوي، فإن دراستي تضيف عليها ما يلي:

١- أنها -بفضل الله- استوعبت كل الآيات التي دلت على خلق الحياء نصًّا، وأكثر الآيات التي دلت على خلق الحياء بمعناها.

٢- أوضحت الدراسة معنى صفة الحياء لله تعالى، وكيفية إثباته، على ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة، ونقَلَت من كلام أهل العلم ما يبين ذلك ويجلّيه؛ ولعل هذا المبحث من أهم ما يميز هذا البحث. بينما اكتفت الدراسات السابقة بالإشارة إلى مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الحياء لله تعالى، وبعضها لم تبين المقصود به.

٣- أفردت الآيات بالبحث والدارسة، بينما كل الدراسات السابقة لم تفرد الآيات الدالة على الحياء بالبحث، وإنما ضمت إليها ما ورد في السنة، فصارت هذه الدراسة تفسيرية موضوعية.

٤- أضافت هذه الدراسة مبحثًا ذكرت فيه: آيات تحدثت بأسلوبِ ازدراءِ واحتقارِ قومٍ قل حياؤهم أو عُدِم. وهذا المبحث لم تذكره أو تشير إليه الدراسات

السابقة.

وبعد: فهذه بعض الفروق بين دراستي ودراسة من سبقني من الفضلاء الذين بلا شك أن دراساتهم كانت مهمة في بابها، ولهم فضل السبق إلى فتح باب البحث في هذا الموضوع المهم الذي ينبغي البحث فيه وإثارة همم الباحثين للكتابة فيه، وإيضاح مكانته للناشئة خاصة في هذه الحقبة من الزمن، وآمل أن تكمل هذه الدراسة ما احتاج منها إلى تكميل، والعلم رحم بين أهله، والله هو المستعان، وعليه وحده اعتمادي وتوكلي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: فبها تعريف بالموضوع وأهميته، ومشكلة البحث وأهدافه، وخطة البحث.

التمهيد: مفهوم الحياء وأهميته وأنواعه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الحياء، والألفاظ ذات الصلة به.

المطلب الثاني: أهمية الحياء وفضائله.

المطلب الثالث: أنواع الحياء وأقسامه.

المطلب الرابع: أصل تولد الحياء والأسباب المذهبة له.

المبحث الأول: آيات الحياء في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات التي نصّت على خلق الحياء.

المطلب الثاني: الآيات التي دلت على خلق الحياء بمعناها.

المطلب الثالث: آيات كني بها عما يستحيا منه، أو يستقذر.

المبحث الثاني: مدح القرآن لأصحاب الحياء والتشنيع على مخالفيهم.

وفيه مطلبان.

المطلب الأول: آيات مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء.

المطلب الثاني: تشنيع القرآن على من لم يتخلق بالحياء.

الخاتمة: وبها نتائج البحث.

وبعد، فإني أدعو الله أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع، والوصول منه إلى الغاية التي أريد، فإن كان هناك توفيق فهو فضل الله سبحانه، وإن كان غير ذلك فحسبي أن الحق قصدت والخير أردت، ولم أقصر في طلب الحق والخير، وأدعو الله أن يكون حليفي الأمر الأول، ونيل توفيق الله تعالى، وأن ينفع بالبحث كاتبه وقارئه، وأن يجعله في ميزان حسناتي، ويغفر لي زلاتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * * * * * * * *

التمهيد
مفهوم الحياء وأهميته وأنواعه

المطلب الأول

مفهوم الحياء والألفاظ ذات الصلة به

أولًا: الحياء في اللغة: مصدر قولهم حيي وهو مأخوذ من مادّة (ح ي ي) والحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة. فأمّا الأوّل: فالحياة والحَيَوان، وهو ضِدُّ الموت والموَتان. ويسمى المطر حَيًا؛ لأن به حياة الأرض. ويقال ناقة مُحْي ومُحْيِيَةٌ: لا يكاد يموت لها ولد.

وهذا من جمال ما يدل عليه (الحياء) وهو الحياة؛ فكأن من لا حياء عنده لا حياة له بل هو في عداد الأموات حكمًا وإن أكل وشرب كما قال ابن القيم – رحمه الله –: "فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا، شقي في الآخرة"(١).

والأصل الآخَر: قولهم استحييت منه استِحياءً. وقال أبو زيد: "حَيِيتُ مِنه أَحيا، إذا استحيَيْتُ"(٢).

فللعرب في هذا الحرف لغتان – كما تقدم – والقرآن نزل باللغة التامة(٣).

(واسْتَحْيى منه) بياءين (واستحَى منه) بياء واحدة، حذفوا الياء الأخيرة؛ كراهية التقاء الياءين. و(استحيا واستحى) تتعديان بحرف وبغير حرف، يقولون: "استحيا منك، واستحياك، واستحى منك، واستحاك"(٤).

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص٧١.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٢/٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٨٧/١، وجمهرة اللغة لابن دريد ١٠٥٢/٢.

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٩٩/٣، تاج العروس للزَّبيدي ٥١٢/٣٧.

والحياء في لغة العرب يأتي على عدة معانٍ متقاربة في المعنى غير مترادفة، ومما قيل في معنى الحياء:

١- الانقباض والانزواء [١]. ٢- المسلك الوسط المحمود[٢]. ٣- الحشمة والتوبة[٣]. ٤- الخزي: ومنه: خَزِي خَزَايَة: استحيا. وخَزِيت فلاناً، وخَزِيت منه: استحييتُ[٤].

ثانيًا: الحياء في الاصطلاح: عُرِّف الحياء في الاصطلاح بتعريفات عديدة، كلها متقاربة المعاني، منها:

١- تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم، واشتقاقه من الحياة؛ فقد جُعِل الحَيِيُّ؛ لما يعتريه مِنَ الانكسارِ والتغيُّرِ منتكسَ القوةِ، منتقِصَ الحياةِ، كما قالوا: "فلان هَلَك من كذا حياءً"[٥].

٢- انقباض النفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه[٦]

٣- انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق[٧].

٤- خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١١٨/٣، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٤١٤.

(٢) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرين ١٧٦/٢.

(٣) هكذا في لسان العرب لابن منظور ٢١١/١٤، تاج العروس للزَّبيدي ٥١١/٣٧، وانظر: مجمل اللغة لابن فارس ٩١٣/١، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٦٤.

(٤) المخصص لابن سيده ٧٠/٤ ذكر هذا المعنى عن ابن السكّيت.

(٥) الكشاف للزمخشري ١٤٠/١، الدر المصون للحلبي ١٠١/١.

(٦) التعريفات للجرجاني ص١٢٦، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٣٠٢.

(٧) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ٧/١.

الحق[١].

٥- الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء"[٢].

٦- انقباض النفس عن القبائح وتركها[٣].

٧- خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح[٤].

٨- رؤية الآلاء أي: النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء[٥].

ومن مجموع هذه التعريفات: يتبين لنا أن الحياء ماء الوجه، وهو خُلقٌ جميلٌ يحمل النَّفس على ترك الرَّذائل، ويحجزها عن السُّقوط في سفاسف الأمور وحمأة الذُّنوب، بمحض الإرادة وكريم الأصل، رجاء ما عند الله تعالى، وتقديرًا لنعمه سبحانه التي في مقدمتها الهداية للإسلام. والحياء من أقوى البواعث إلى الفضائل وفعل الصَّالحات.

ثالثاً: الفرق بين الحياء والخجل:

قد يختلط على البعض الحياء والخجل، فيظن أن الخجل هو الحياء، ولكن هناك فرقا بينهما: فالخجل: معنى يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب، عند ذهاب حُجَّةٍ، أو ظهور على ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيبة.

---

(١) رياض الصالحين للنووي ٣٨٥/١، شرح صحيح مسلم للنووي ٦/٢. وقاله ابن حجر – رحمه الله – في فتح الباري ٥٢٢/١٠.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢٦٤/٢.

(٣) مفردات غريب القرآن للأصفهاني ١٤٠/١.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٢٧/٢.

(٥) شرح مسلم للنووي ٥/٢ عن الجنيد.

والحَيَاء: هو الارتداع بقوَّة الحَيَاء، ولهذا يُقَال: فلانٌ يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال؛ لأنَّ هيئته لا تتغيَّر منه قبل أن يفعله، فالخَجَل ممَّا كان والحَيَاء ممَّا يكون.

وقد يُسْتَعمل الحَيَاء موضع الخَجَل توسُّعًا، وقال الأنباري: أصل الخَجَل في اللُّغة: الكَسَل والتَّواني وقلَّة الحركة في طلب الرِّزق، ثمَّ كثر استعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى الانقطاع في الكلام.

وفي الحديث: «إذا جعتنَّ وقعتنَّ، وإذا شبعتنَّ خجلتنَّ»[(١)]، «وقعتنَّ» أي: ذللتنَّ، و«خجلتن»: كسلتن.

وقال أبو عبيدة: الخَجَل هاهنا الأَشَر، وقيل هو سوء احتمال العناء.

وقد جاء عن العرب الخَجَل بمعنى: الدَّهش.

قال الكُمَيْتُ: فلم يدفعوا عندنا ما لهم لوقع الحروب ولم يخجلوا

أي لم يبقوا دهشين مبهوتين"[(٢)].

رابعاً: من أضداد الحياء:

وللحياء أضداد منها:

١- **الوقاحة:** فالاستحياء ضِدُّ الوقاحة[(٣)]. والوقاحة هي: الجَرَاءَة على القَبائح وعَدَمُ المبالاةِ بها[(٤)].

وترك الحياء يسمى (القحّة) وهو أصل كل شر، لأن الحياء يحول بين

---

(١) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣٧٧/٦ ح(١٦١٣٦).

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص ٢٤٤).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٢/٢.

(٤) تاج العروس للزبيدي ٢١٨/٧.

الإنسان والمنهيات، وبحسب قوة الحياء ينتهي المرء عن الشر[١].

٢- **الصفاقة:** يقال: (صفيق الوجه): للصلب القليل الحياء، وهو ضد الرقيق، وقد صفُق وجهه، يصفُق صفاقة، فهو صفيق، ووجه صفيق بيِّن الصفاقة[٢].

٣- **البذاءة:** "البذاء هو الفحش والقبح في المنطق، وإن كان الكلام صدقا"[٣]. والبذاء والبذاءة هو: التصريح بالأمور المستقبحة[٤].

****

(١) روضة العقلاء ص ٥٦- ٥٩. بتصرف.

(٢) انظر: إسفار الفصيح للهروي ٩٢٩/٢، الصحاح للجوهري ١٩٤/٤.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٧٣.

(٤) الكليات للكفوي ص ٢٤٣.

المطلب الثاني

أهمية الحياء وفضائله

من دلائل أهمية خُلق الحياء وفضائله ما يلي:

١- محبة الله تعالى لخلق الحياء؛ ومحبته من اتصف بالحياء:

فمن دلائل محبته سبحانه لهذه الخصلة الحميدة: اتصافه تعالى بها – على ما يليق بجلاله وعظمته – قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "**إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبين**"(١).

وحياؤه تعالى لا تدركه الأفهام، ولا تكيِّفه العقول، فإنَّه حياءُ كرمٍ وبرٍّ وجودٍ وجلالٍ، فإنَّه تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحي أن يعذِّب ذا شيبةٍ شابت في الإسلام(٢). ومع كرمه وكمال غناه عن الخلق فهو يستر العاصي؛ بما يقيِّض له من أسباب السِّتر، ويعفو عنه، ويغفر له، ويتحبَّب إليه بالنِّعم، ويستحيي ممن رفع يديه أن يردَّهما إليه خاليتين. وإذا كان سبحانه يستحيي ويتصف بهذه الصِّفة؛ فإنَّه سبحانه يحبُّ من تخلَّق بها. ومما يدل على محبة الله تعالى للحياء والمتصفين له قوله صلى الله عليه وسلم للأشج(٣): "**إن فيك خلتين يحبهما الله، قلت: وما هما، قال: الحلم والحياء**"(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٦٢.

(٣) هو: أشج عبد القيس، واسمه: المنذر بن عائذ، قدم في وفد عبد القيس سنة ١٠ من الهجرة، روى عنه ابن عمر رضي الله عنهما. قال: "الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله". لم تُذكر وفاته.انظر:الاستيعاب لابن الأثير ١/١٤٠، الإصابة لابن حجر ١/٨٧.

(٤) أخرجه أحمد ٢٩/٣٦١ ح(١٧٨٢٨)، وقال الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ص١٣٨١: "صحيح".

٢- الحياء خُلق دين الإسلام: جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء**"(١).

٣- ثناؤه -صلى الله عليه وسلم- على عثمان -رضي الله عنه- لأنه كان شديد الحياء: بل كان -صلى الله عليه وسلم- يستحيي منه، ويقول: " أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ"(٢).

٤- الحياء من الصفات التي تزيد في الإيمان وتثمر العمل الصالح، وتقود إلى الجنة: فهذا الخلق الكريم من الإيمان، وهذا من أعظم فضائل الحياء، والإيمان والحياء لا يفترقان، فالحياء شعبة من الإيمان، وقد مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**دعه فإن الحياء من الإيمان**"(٣) وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**الحياء لا يأتي إلا بخير**"(٤). والحياء أبهى زينةٍ يُتزين بها كما قال صلى الله عليه وسلم: "**ما كان الفحش في شيءٍ قطَّ إلَّا شانه، وما كان الحياء في شيءٍ قطَّ إلَّا زانه**"(٥) فالحياء زينةٌ، ونزعه عيبٌ كبيرٌ عمَّن نُزع عنه.

وخُلق الحياء من أجلّ الأخلاق وأعلاها، وهو مادة الإنسانية ولولاه لم تؤدّ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٦٦/٤، ح(٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة -رضوان الله عليهم-، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/١، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ح(٢٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

كثير من الفرائض، ولم تراعَ لكثير من الخلق حقوق، وبقدر تمكنه يكثر الخير ويقل الشر. والحياء آمر لصاحبه بالخير زاجر له عن الشر(١). قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**"(٢). والحياء غريزة من الإيمان وإنما جعله بعضه؛ لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار وانتهاء فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان(٣).

****

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ص٢٧٧. بتصرف.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٧١/٨ ح(٨٦٠٧)، وأخرجه الترمذي في سننه ٤٣٣/٣، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، ح(٢٠٠٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٧٠/١.

المطلب الثالث

أنواع الحياء وأقسامه

أولاً: أنواع الحياء:

الحياء نوعان: غريزيّ، ومكتسب.

فالمكتسب هو الّذي جعله الشّارع من الإيمان، وهو المكلّف به دون الغريزيّ، وقد ينطبع الشّخص بالمكتسب حتّى يصير كالغريزيّ.

وقد جُمع لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– النّوعان، فكان –صلى الله عليه وسلم– في الغريزيّ أشدّ حياء من العذراء في خدرها، وكان في المكتسب في الذّروة العليا(١).

ويتنوع الحياء كذلك إلى نوعين: نفسانيّ: وهو المخلوق في النّفوس كلّها كالحياء من كشف العورة والجماع بين النّاس، وإيمانيّ: وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرّم خوفا من الله(٢) واستعماله على مقتضى الشّرع يحتاج إلى نيّة وعلم(٣).

ثانياً: أقسام الحياء:

من خلال الاستقراء يمكن تقسيم الحياء إلى أقسام عدة، باعتبارات مختلفة، (باعتبار الإيمان والجبلة –وهذا التقسيم يتعلق بأنواعه كما تقدم – وباعتبار طبائع النفوس، وباعتبار المستحيا منه). وتفصيلها كالآتي:

أ– **أقسامه باعتبار طبائع النفوس وصفاتها:** "وقد قُسّم الحياء على عشرة أوجه: حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم ص٢٠٠، فتح الباري لابن حجر ١/٥٢.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص١٢٦، التوقيف على مهمات التعاريف ص١٥٠.

(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢/ ٢٢٧.

حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيي من نفسه"(١).

ب- أقسام الحياء باعتبار المستحيا منه: وهو أربعة أقسام:

١- **الحياء من الله تعالى:** يوضحه قوله -صلى الله عليه وسلم-: "**استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا يا رسول الله: "إنا نستحيي والحمد لله" قال: "ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**"(٢). والحياء من الله أول شواهد المعرفة، وهو النور الذي يقع في القلب والحياء من الله ثمرة من ثمراته(٣).

٢- **الحياء من الملائكة:** كلّ منّا عليه ملائكة يحصون أعماله، ويكتبون حسناته وسيئاته كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠)} [الانفطار: ١٠] يجب على المسلم أن يستشعر وجود الملائكة وملازمتهم له، وأنهم يتأذون من اقتراف المعاصي والذنوب(٤).

٣- **الحياء من الناس:** جاء عن زيد بن ثابت τ قال: "من لا يستحي من

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٦١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٧٣، كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب (دون عنوان) ح(٢٤٥٨)، وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/١٦٤: "حسن لغيره".

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٣/٣٨٠.

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ص٧٥.

الناس لا يستحي من الله"، ولذا كان الواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحياء من الناس، ليحصّل بركته[١].

٤- **الحياء من النفس:** وأما حياء الإنسان من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات. قال بعض الحكماء: "ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك". وقال بعض الأدباء: "من عمل في السر عملًا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر". ودعا قوم رجلًا كان يألف عشرتهم، فلم يجبهم، وقال: "إني دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سني". وقال بعض الشعراء:

فسري كإعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري[٢]

وهذا النوع من الحياء من فضيلة النفس وحسن السريرة[٣].

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر.

****

(١) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي ص٥٨.

(٢) بيت للشاعر: نافع بن هريم اليربوعي، انظر: البديع لابن المعتز ص١٧٥، وانظر: أدب الدنيا والدين ص٣٠٨، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك للماوردي ص٤٤، وقد ذكرا البيت من غير نسبة.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين ص٣٠٨، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك للماوردي ص٤٤.

المطلب الرابع

أصل تولد الحياء والأسباب المذهبة له

أولاً: أصل تولد الحياء:

أصله: رؤية الآلاء (أي النّعم)، ورؤية التّقصير، ومن هنا يتولد الحياء[١].

فأصل تولد الحياء على درجتين فالدرجة الأولى: من علم العبد بنظر الحقّ إليه. والثانية: من النظر في علم القُرْب، ومنه: يتحقق القلب بالمعية الخاصة مع الله[٢].

ثانياً: الأسباب التي تذهب الحياء:

من أعظم الأسباب التي تذهب الحياء: المعاصي والذنوب؛ ومن أعظم عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الّذي هو مادّة حياة القلب، جاء في الحديث: «**الحياء خير كلّه**»[٣]. فالذّنوب تضعف الحياء من العبد، حتى يصل الحال ببعضهم إلى أن يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، وإذا وصل العبد إلى هذا الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٤].

****

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٤٩.

(٢) مدارج السالكين ٢/٢٥٣- ٢٥٥.

(٣) صحيح مسلم ١/٦٤ ح(٣٧)، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها، وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان.

(٤) الداء والدواء لابن القيم ص٣١-٣٣.

المبحث الأول
آيات الحياء في القرآن الكريم

المطلب الأول
الآيات التي نصّت على الحياء

الآية الأولى: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)} [البقرة: ٢٦]

سبب نزول الآية: في سبب نزول هذه الآية قولان مشهوران:

القول الأول: عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة –رضوان الله عليهم–: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} [البقرة: ١٧] وقوله: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} [البقرة: ١٩] الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: {هُمُ الْخَاسِرُونَ}[1].

---

(١) وهذا يدل على أن الآية نزلت في المنافقين. انظر: أسباب النزول للواحدي ص١٤، لباب النقول للسيوطي ص١٧. وأخرجه الطبري في جامع البيان ١/١٢٣. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٠٦.

قال الهرّاس: "وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية، مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه، مع كمال غناه، وتمام قدرته عليه: يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من=

القول الثاني: عن قتادة: "لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} [البقرة: ٢٦][(١)]. وعنه أيضا: إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئاً ما، قلَّ أو كثر، وإن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} [البقرة: ٢٦][(٢)].

وذكر الطبري قولاً ثالثاً عن الربيع بن أنس في هذه الآية، قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا؛ إذ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت. وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلؤوا من الدنيا ريّا أخذهم الله تعالى عند ذلك، قال: ثم تلا {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

=أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر". انظر: "صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة."ص:١٤٧-١٤٩.

وممن ذكر هذا الاسم في أسماء الله الحسنى: الحليمي، والبيهقي، والقرطبي، وابن القيم، والعثيمين، وغيرهم. وذهب بعضهم إلى أن هذا من باب الإخبار عن الله تعالى ووصفه بالحياء والستر، وليس من باب الأسماء، كقوله صلى الله عليه وسلم: "الله الطبيب" رواه أبو داود (٤٢٠٧) وصححه الألباني. وأسقط هؤلاء هذا الاسم من إحصاء الأسماء الحسنى: ومن هؤلاء: الخطابي، وابن منده، وابن حزم، والأصبهاني، وابن الوزير، وابن حجر، والسعدي، وغيرهم. انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، د. خليفة التميمي، ص١٤٩.

(١) ويؤخذ منه أن الآية نزلت في اليهود. انظر: أسباب النزول للواحدي ص١٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان ١/١٢٣.

(٢) جامع البيان للطبري ١/١٢٤ هجر، زاد المسير ١/٥٤.

أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ٤٤][١].

ثم قال الطبري: "والأَولى بالصواب: أن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها"[٢].

ومعنى الآية: أخبر تعالى أنه لا يستنكف، وقيل: لا يخشى أن يضرب أيّ مثل كان، بأي شيء كان، صغيرًا كان أو كبيرًا[٣].

{فَمَا فَوْقَهَا} قيل: فما هو أصغر منها؛ لأنه يفوقها في الصغر، وقيل: فما فوقها، أي فما هو أكبر منها[٤]. (والعرش والبعوضة) لافرق بينهما في قدرته: فلا خلق العرش أشق وأعسر، ولا خلق البعوضة أخف عليه وأيسر، فإنه سبحانه متقدّس عن لحوق العسر واليسر، فإذا كان الأمر بذلك الوصف، فلا يستحي أن يضرب بالبعوضة مثلا كما لا يستحى أن يضرب بالعرش – فما دونه – مثلا [٥]. وفي ضرب الله هذه الأمثال إيضاحا للحق، والله لا يستحيي من الحق، وكأن في هذا جوابا لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم، فيجب أن تُتلقى بالقبول والشكر. ولهذا قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} [البقرة: ٢٦] فيتفهمونها، ويتفكرون فيها[٦].

---

(١) جامع البيان للطبري ١/١٢٤.

(٢) الطبري ١/١٢٤ ط. هجر، زاد المسير ١/٥٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٠٦.

(٤) النكت والعيون ١/٨٨، أضواء البيان ١٥/١٣.

(٥) لطائف الإشارات للقشيري ١/٧٤.

(٦) تيسير الكريم المنان ص٤٧.

الآية الثانية: قوله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)} [القصص: ٢٥]{عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} الجار والمجرور في موضع الحال، تقديره: تمشي مستحية غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة [١]، والمعنى: على حياء؛ لأنها كانت مقنّعة ولم تك متبرجة[٢]. فقد جاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشي على استحياء من موسى ، قد سترت وجهها بثوبها[٣]. ثم ساق بسنده الصحيح عن أبي إسحاق عن نوف قوله: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} وقيل: قد سترت وجهها بيديها"[٤]. وعن عمر τ {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} قال: "لم تكن سلفعًا من النساء خرَّاجة ولاّجة، قائلة بيدها على وجهها"[٥].

والاستحياء مبالغة في الحياء[٦]. «تمشي»: في موضع الحال من «إحداهما» ، والعامل فيه «جاء». {عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} في موضع الحال من المضمر في «تمشي». ويجوز أن يكون «على استحياء» في موضع الحال المقدمة من المضمر في «قالت»، والعامل فيه «قالت». والأول أحسن. ويحسن الوقف على «تمشي» على القول الثاني ، ولا يحسن الوقف على القول

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (١٧٧/٢)، والدر المصون للحلبي (٣٣٩/٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٦٠٤/٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٢١٨/١٨.

(٤) الصحيح المسبور بإشراف أ.د. حكمت بشير ٤٨/٤. عن نوف بسند صحيح.

(٥) جامع البيان للطبري ٥٥٩/١٩.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠.

الأول إلا على «استحياء»[١].

وفي هذا الوصف القرآني المجيد أعظم تمجيد وتخليد لصاحبة هذا الخلق العالي النبيل؛ إذ نالت (وسام الشرف) من لدن حكيم مجيد.

الآية الثالثة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)} [الأحزاب: ٥٣]

لما بين الله في الآيات التي سبقت هذه الآية آداب النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه فقّاه في هذه الآية بآداب الأمة معهن[٢].

سبب نزول الآية: في سبب نزول هذه الآية ستة أقوال:

القول الأول: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [٣].

---

(١) الموسوعة القرآنية ص١٦٤٥.

(٢) التفسير الكبير ٦٤٢/٣، التحرير والتنوير ٨١/٢٢

(٣) صحيح البخاري طوق النجاة ١١٨/٦، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {لا تدخلوا=

القول الثاني: قال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين يتحيّنون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية(١).

القول الثالث: أن عمر بن الخطاب قال: "قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن" فنزلت آية الحجاب(٢).

القول الرابع: عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن عمر أمر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب، فقالت زينب: "يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا" فنزلت الآية(٣).

القول الخامس: عن عائشة رضي الله عنها: كان عمر يقول للنبي

=بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما} [الأحزاب: ٥٣] "، ح٤٧٩١، صحيح مسلم ١٠٥٠/٢، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس، ح ١٤٢٨.

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤١٣/٦، وانظر الوجيز للواحدي ص٨٧١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨٩/١، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة، ح(٤٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٢/٧ ح(٤٣٦٢)، والبزار في مسنده ١٥٦/٥ ح(١٧٤٨)، وقال: لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا بهذا الإسناد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٧/٩، وقال: وفيه أبو نهشل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وضعف الألباني الحديث في مشكاة المصابيح ١٧٠٦/٣.

صلى الله عليه وسلم: "احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: "ألا قد عرفناك يا سودة" حرصًا على أن ينزل الحجاب؛ فأنزل الله آية الحجاب(١).

القول السادس: مر عمر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وعائشة وهما يأكلان حيسا، فدعاه، فوضع يده مع أيديهما، فأصابت يده يد عائشة، فقال: أَوّه، لو أطاع في هذه وصواحبها ما رأتهن أعين، وذلك قبل آية الحجاب، قال: "فنزلت آية الحجاب". قاله مجاهد(٢).

ومما يتقدم يظهر أن الأقوال ترجع إلى قولين: الأول: في شأن الوليمة منه صلى الله عليه وسلم حين زواجه بزينب رضي الله عنها حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني: إشارة عمر رضي الله عنه بتحجب نساء النبي صلى الله عليه وسلم، والأول هو الأرجح، وهو الذي عليه أكثر المفسرين(٣).

معنى الآية: في هذه الآية يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه ٤١/١، كتاب الوضوء، باب خروج النساء إلى البراز، ح(١٤٦)، ومسلم في صحيحه ١٧٠٩/٤، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان ح(٢١٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند عائشة، ح (٢٩٤٧)، ولم يعلق عليه، المعجم الأوسط ٢١٢/٣، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧/١٢ ح(٣٢٦٣٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٣/٧، وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن أبي كثير، وهو ثقة.

(٣) وأسباب نزول الحجاب تعددت، وكانت قصة زينب آخرها، للنص على قصتها في الآية، انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ١٢٢/٤، البحر المحيط الثجاج للولولي ٤٩٧/٣٨.

اللّه صلى اللّه عليه وسلم، في دخول بيوته، فلا تدخلوا بيوته إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} أي: قبل الطعام وبعده.

ثم بين حكمة النهي وفائدته بأن انتظاركم الزائد على الحاجة، {كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه {فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} أن يقول لكم: " اخرجوا " كما هو العادة الجارية، أن الناس – وخصوصًا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يُخرجوا الناس من مساكنهم، {وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ } فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء. واللّه تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان، فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم في خطاب زوجاته، إن لم يحتج إليه فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يُسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يسألن {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره اللّه، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: {ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه؛ فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين اللّه كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة[1]. ومن صفاته تعالى التي ذكرت في الآية: إثبات صفة الحياء لله تعالى: في قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٠، وانظر: الوجيز للواحدي ص٨٧١، تفسير السمعاني ٣٠٠/٤.

يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقّ} وهو: العَدْل في الأحكام، والصِّدْق في الأخبار، فالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لا يَستَحْي من الحقِّ؛ لأن الحَياء من الحقِّ يَستَلزِم تَرْك الحقِّ والخَوَر وعدَم الحَزْم، واللَّه عَزَّ وَجَلَّ لا يَستَحْيي من أن يُبيِّن الحقِّ. ومن قال إن معنى قوله تعالى: {لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقّ} أي: أن يُخرِجَكم، ففيما قاله نظَر، بلِ الصوابُ: {لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقّ} أَنْ يُبيِّنَه لكم؛ لأن المَقام هنا ليس مَقام إخراجٍ، بل المَقامُ مَقامُ تَبْيين لما يَجِب على هؤلاء الذين استأْذَنوا على الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالمَعنَى: لا يَستَحْيِي من الحَقِّ[1].

وفي الآية إثبات أن الحياء من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم: ودليله ما ورد في الآية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقّ} ففي هذه الآية أثبت الله تعالى صفة الحياء لنبيه صلى الله عليه وسلم فحسن خلقه –صلى الله عليه وسلم– جرّهم إلى المباسطة معه[2].

ويوضح ذلك سبب نزول هذه الآية، كما في حديث أنس قال: "كان النبي –صلى الله عليه وسلم– عروساً بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة في [بُرْمَة] فأرسلت بها معي، فانطلقت بها إليه فقال: "ضعها"، ثم أمرني فقال: "ادع لي رجالاً سماهم"، وقال: "ادعُ لي من لقيت"، قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاصٌّ بأهله، ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده في تلك الحيسة وتكلم بما شاء، ثم جعل يدعو

(١) انظر: تفسير الشيخ ابن عثيمين لسورة الأحزاب ص٤٢٥.
(٢) لطائف الإشارات القشيري ١٦٨/٣.

عشرة عشرة يأكلون منه ويقول: لهم: "اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه"، حتى تصدعوا كلهم عنها، فخرج منهم من خرج وبقي نفر يتحدثون. ثم خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– نحو الحجرات وخرجت في إثره، فقلت: إنهم قد ذهبوا، فرجع فدخل البيت وأرخى الستر، وإني لفي الحجرة وهو يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} إلى قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} فخرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقرأهن على الناس"(١).

قال قتادة: كان هذا في بيت أم سلمة أكلوا وأطالوا الحديث، فجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– يدخل ويخرج، ويستحي منهم، والله لا يستحي من الحق(٢). يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه(٣).

وقيل: المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، خاصة من كان يتحين طعامه صلى الله عليه وسلم، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه، عليه السلام، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك؛ ولهذا قال: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه(٤).

{غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} في معناه قولان: الأول: غير منتظرين إدراكه وبلوغه

---

(١) رواه البخاري (١٩٨١/٥) (ح٤٨٦٨) كتاب النكاح، باب الهدية للعروس، وبنحوه مسلم في صحيحه (١٠٥١/٢ ح١٤٢٨) كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس.

(٢) الهداية لمكي ٥٨٦٢/٩ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٧/٧ .

(٤) انظر: زاد المسير (٤١٣/٦)، ورموز الكنوز للرسعني ١٨٥/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٤./٦

ونضجه. قاله الضحاك ومجاهد. الثاني: غير متوقعين لحينه ووقته، قاله قتادة[١] .

ووصفه –صلى الله عليه وسلم– بالحياء أمر مشهور عنه، وسنته –صلى الله عليه وسلم– زاخرة بذلك[٢]. فقد كان –صلى الله عليه وسلم– أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه"[٣]. وهذا يدل على أنه –صلى الله عليه وسلم– جبله الله تعالى على أحسن الأخلاق والحياء الكامل[٤]. فلم يكن يواجه الناس بالعتاب على ما يكون في خاصة نفسه كالصبر على جهل الجاهل وجفاء الأعرابي، ألا ترى أن ترك الذي جبذ البردة من عنقه حتى أثرت جبذته فيه؛ لكن إذا انتهكت محارم الله انتقم لله لا لنفسه[٥].

ومن حبه –صلى الله عليه وسلم– للحياء قوله: "الحياء لا يأتي إلا بخير"[٦]. وفي لفظ: "الحياء خير كله قال"، أو قال: "الحياء كله خير"[٧]. فمن

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٥٧/١٩ ط. هجر، النكت والعيون للماوردي ٤١٨/٤.

(٢) قال ابن القيم: "وحياء الكرم: كحياء النبي صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب وطولوا الجلوس عنده فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا وحياء الحشمة..." انظر: مدارج السالكين ٢٦٢/٢.

(٣) صحيح البخاري٢٦/٨ح(٦١٠٢) كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، وصحيح مسلم١٨٠٩/٤ح(٢٣٢٠). كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(٤) قاله العيني في عمدة القاري ٢٠٠/٦.

(٥) قاله ابن بطال في شرح صحيح البخاري ٢٨٩/٩.

(٦) صحيح البخاري ٢٩/٨ ح(٦١١٧) كتاب الأدب، باب الحياء، وصحيح مسلم ٦٤/١ ح(٣٧)، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان.

(٧) صحيح مسلم ٦٤/١ ح(٣٧)، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان.

استحيا من الناس أن يروه يأتي الفجور ويرتكب المحارم ، فذلك داعية له إلى أن يكون أشد حياء من ربه وخالقه، ومن استحيا من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأن كل ذي فطرة صحيحة يعلم أن الله تعالى النافع له والضار والرزاق والمحيي والمميت ، فإذا علم ذلك فينبغي له أن يستحيي منه عز وجل ، وهو قوله عليه السلام: "دعه فإن الحياء من الإيمان"[(١)] فالحياء يمنع من الفواحش، ويحمل على الصبر والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور، ويقيده عن المعاصي ويحمله على الطاعة فصار كالإيمان لمساواته له في ذلك ، وإن كان الحياء غريزة والإيمان فعل المؤمن فاشتبها من هذه الجهة[(٢)].

الآية الرابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)} [الأحزاب: ٦٩]

معنى الآية: كما جاء في قوله –صلى الله عليه وسلم–: "إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء، استحياءً منه[(٣)]، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: "ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص، وإما أُدْرَةٌ[(٤)]، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده،

---

(١) صحيح البخاري ١/١٤ ح(٢٤). عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنهم، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان.

(٢) قاله ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري ٩/٢٩٨.

(٣) قال أبو العباس الفاسي في البحر المديد ٦/٨٩: "وكان موسى عليه السلام يستتر؛ لشدة حيائه".

(٤) الأدرة بضم الهمزة وسكون الدال نفخة في الخصية يقال رجل آدر. انظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٩/٦٢.

فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه؛ ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: "ثوبي حجر، ثوبي حجر" حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لنُدَبًا من أثر ضربه، ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا؛ فذلك قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)} [الأحزاب: ٦٩] (١).

فهذا أمر للمؤمنين بألاّ يؤذوا رسول الله بقول يكرهه، ولا بفعل لا يحبه، ولا يكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله ، فرموه بعيب كذبا وباطلا {فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل، ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه(٢).

وعن الحسن وقتادة "إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة فلا يستترون وكان موسى رجلا حييا لا يفعل ذلك، فكانوا يقولون: ما يمنع موسى أن يسعى معنا إلا أنه آدر، فاغتسل يوما ووضع ثوبه على حجر، فسعى الحجر بثوبه، فأتبعه موسى خلفه ويقول: ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر، حتى مر على بني إسرائيل فنظروا إليه فرأوه بريئا مما كانوا يقولون، فأدرك الحجر فأخذ ثوبه"(٣).

****

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ١٥٦/٤، ح(٣٤٠٤).

(٢) جامع البيان للطبري ١٩٠/١٩.

(٣) تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ١٢٤/٢.

المطلب الثاني

الآيات التي دلت على الحياء بمعناها

الآية الأولى: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)} [البقرة: ٢٦٧]

معنى الآية: أنه لو أهدي لكم ما قبلتموه إلا على استحياء من صاحبه وإغماض فكيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم(١).

وعن البراء بن عازب في قوله سبحانه: {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} قال: "نزلت في الأنصار، كانت تخرج إذا كان جداد النخل من حيطانها أقناء (البُسْر) فيعلقونه على حبل بين أسطوانتين في مسجد رسول الله ρ، فيأكل منه فقراء المهاجرين، فيعمد أحدهم فيدخل قنوًا في الحشف، يظن أنه جائز في كثرة ما يوضع من الأقناء؛ فنزل فيمن فعل ذلك: {وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ} فلو أهدي لكم ما قبلتموه إلا على استحياء من صاحبه غيظًا أنه بعث لكم ما يكن لكم فيه حاجة. واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم(٢).

الآية الثانية: قوله تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)} [النساء: ١٠٨]

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٧٠٧/٤، التفسير الكبير ٥٦/٧، لباب التأويل للخازن ٢٩٠/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٥٨٣/١، ح(١٨٢٢) كتاب الزكاة، باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله. وفي الصحيح المسبور: "هذا حديث غريب صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وانظر: المستدرك ٢٨٦/٢.

معنى الآية: أن هؤلاء الذين يختانون أنفسهم يخفون ما أتوا من الخيانة، وركبوا من العار والمعصية عن الناس الذي لا يقدرون لهم على شيء إلا ذكرهم بالقبح، ولا يستحيون من الله الذي هو مطلع عليهم، وهو أحق أن يستحيا منه من غيره، وأولى أن يعظم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه، وهو سبحانه شاهدهم، حين يسوون ليلا ما لا يرضى من القول فيغيرونه عن وجهه، ويكذبون فيه(١). فهم يستترون من الناس حياء وخوفا؛ لأن الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم(٢). ولا يستحيون منه سبحانه وهو أحق بأن يستحيا ويخاف منه، والله محيط بهم.(٣)

الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) } [يونس: ٦١] **معنى الآية:** أي أن الله خوّفهم بما عرّفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم، ورؤية ما سيفعلونه من فنون أعمالهم. والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم منه، وهذه حال المراقبة، والعبد إذا علم أن مولاه يراه استحيى منه، وترك متابعة هواه، ولا يحوم حول ما نهاه(٤). قال بعضهم: استحي من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر قدرته عليك. وقال بعض العارفين: إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا سكت فاذكر نظره إليك، وقد وقعت الإشارة في القرآن العظيم إلى هذا المعنى في مواضع كثيرة من

(١) جامع البيان للطبري ٤٧١/٧.
(٢) لباب التأويل للخازن ٥٩٥/١.
(٣) أنوار التنزيل البيضاوي: ٢٤٩/١.
(٤) لطائف الإشارات للقشيري ١٠٤/٢، جامع العلوم والحكم لابن رجب ص١١٤.

كتابه، منها قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) } [يونس: ٦١] وقوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)} [الزخرف: ٨٠][(١)].

الآية الرابعة: قوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)} [هود: ٥]

القراءات في الآية وتوجيهها وبيان معنى الآية: قال الطبري: " اختلف القراء في قراءة قوله: {أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} فقرأته عامة الأمصار: {أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} على تقدير "يفعلون" من "ثنيت"، و"الصدور" منصوبة. واختلف القراء في تأويله، فقال بعضهم: كان ذلك من فعل بعض المنافقين، إذا مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره. وقال آخرون: بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك...وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كتاب الله. وقال آخرون: هذا إخبار من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة، ويبدون له المحبة وأنهم معه وعلى دينه. وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضا.

وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: (ألا إنهم تثنوني صدورهم) على مثال: "تحلولي الثمرة"، "تفعوعل"[(٢)]. وقراءة ابن عباس ذكرها البخاري في

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص١١٤.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥/٢٣٣- ٢٣٧.

صحيحه: فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ: (ألا إنهم تثنوني صدورُهم)، فسئل عنها، فقال: "أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضون إلى السماء، فنزل ذلك فيهم"، وفي لفظ: " كان الرجل يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي؛ فنزلت: "ألا إنهم تثنوني صدورهم"[(١)]. وهي قراءة شاذه[(٢)].

فعلى قراءة (تثنوني): يكون تفسير ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم المؤمنون حين يستحيون من الله تعالى في مزاولة أمورهم الخاصة التي لابد منها بيد أن حياءهم من الله قد تمكن من قلوبهم الطاهرة، فصاروا يواقعونها بدافع بشريتهم واضطرارهم لفعلها، ويجدون من الحرج والحياء من الله الأمر الشديد على نفوسهم المؤمنة.

قال أبو جعفر الطبري: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وهو: {أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ}؛ لإجماع الحجة من القراء عليها. والمعنى: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم، أو تناجوه بينهم.

وذلك لأن قوله: {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} بمعنى: ليستخفوا من الله، والهاء في قوله (منه) عائدة على اسم الله، وهي في سياق الخبر عن الله. فإذا كان ذلك كذلك، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى. فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه

---

(١) صحيح البخاري ٦/٧٢ ح(٤٦٨١)، ٦/٧٣ ح(٤٦٨٢)، كتاب تفسير القرآن، باب {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا، حتى إذا أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين} [يونس: ٩٠].

(٢) المحتسب لابن جني ١/٣١٨، ونسبت أيضًا إلى مجاهد، ويحيى بن يعمر، ونصر ابن عاصم، والجحدري، وابن أبي إسحاق وغيرهم.

سر أمورهم وعلانيتها على أي حال كانوا، تغشوا بالثياب، أو أظهروا بالبراز. فقال: {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُم} يعني: يتغشون ثيابهم، يتغطونها ويلبسون. يقال منه: "استغشى ثوبه وتغشاه"، قال الله: {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} [سورة نوح: ٧] ، وقالت الخنساء:

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها ... وتارة أتغشى فضل أطماري[١]

{يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ} يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم، وما تناجوه بينهم فأخفوه، وسواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم[٢].

وقيل: إن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن، نكسوا رؤوسهم على صدورهم؛ كراهية استماع القرآن لِيَسْتَخْفُوا من النبي ρ، فالله قد علم ذلك منهم، والله يعلم حين يغطون رؤوسهم بالثياب، ما يسرون في قلوبهم، وما يعلنون [٣].

الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)} [يوسف: ٢٤]

معنى الآية: في معنى الآية أقوال كثيرة، لعل الصواب إن شاء الله: أنها همّت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذُكر من حل التكة وغيرها؛ بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها، ولم يتابعها، والمراد بهمّه عليه السلام: ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ١٣/٨-١١.

(٢) انظر: ديوان الخنساء ص٥٤، طبعة دار المعرفة بيروت.

(٣) تفسير مقاتل ٢/١٠٩، جامع البيان للطبري ١٢/٣٢٠، زاد المسير لابن الجوزي ٤/٧٧.

من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم ،كقولك: "قتلته لو لم أخف الله"، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء لأن الهمّ بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك ، فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يقول الله: "**إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه؛ حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**"(١).

{لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدل عليه. واختلف في البرهان الذي رآه، فقيل: ناداه جبريل يا يوسف أتكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء. وقيل: رأى يعقوب ينهاه. وقيل: تفكر فاستبصر. وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه، فقال: أنا أولى أن أستحي من الله(٢).

وقد بيّن القرآن العظيم براءته عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيما لا ينبغي حيث بيّن شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به. وأما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: {هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} الآية، وقوله: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

---

(١) صحيح البخاري ٤٧٣/١٣ ح (٧٥٠١) كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} [الفتح: ١٥]، وصحيح مسلم١١٧/١ ح ١٢٨) كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب.

(٢) انظر: التسهيل لابن جزي ٧٣١/١، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٨٢/١.

مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} ، وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} وقولها: {الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}، وأما اعتراف زوج المرأة، في قوله: {قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}. وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} الآية، وأما شهادة الله جل وعلا ببراءته، ففي قوله: { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[1].

وقد شهد الله تعالى في هذه الآية الكريمة على طهارته أربع مرات: أولها: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} واللام للتأكيد والمبالغة. والثاني: قوله: {وَالْفَحْشَاءَ} أي: وكذلك لنصرف عنه الفحشاء. والثالث: قوله: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا} مع أنه تعالى قال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً}. والرابع: قوله: {الْمُخْلَصِين} وفيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل. وأخرى باسم المفعول[2].

فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته. وعلى كلا الوجهين؛ فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهاً

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٨/١٣-١١.

(٢) فقرأها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وابن عامر بالكسر، وباقي الرواة بالفتح، انظر: السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص٣٤٨، طبعة دار المعارف بمصر، المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوري ص٢٤٦، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨١م.

عما أضافوه إليه[١] مما ينافي أخلاقه الكريمة عليه السلام ومنها الحياء. ويؤيد ذلك قوله تعالى: {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}[٢].

ويتضح جانب حيائه من ربه تبارك وتعالى في هذا المقام العظيم من مقامات العبودية، وهو مقام الخشية الذي خالطه الحياء الشديد، سواء ثبت شيء مما قيل في الأسباب أو لم يثبت – وهو الأقرب – لكن الثابت باليقين هو حياء يوسف عليه السلام من ربه.

الآية السادسة: قوله تعالى: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)} [مريم: ٢٢، ٢٣] **معنى الآية:** {فَأَجَاءَهَا} ألجأها، أو جاء بها، فتمنت الموت حياء من التهمة، حياء من قومها وهي من سلائل بيت النبوة؛ لأنها استشعرت منهم اتهامها بالريبة، فرأت أن لا تراهم وأن لا يروها أو لئلا يأثم الناس بقذفها، أو لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة يبرئها من السوء[٣].

الآية السابعة: قوله تعالى:{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)} [الإسراء: ٢٨]

معنى الآية: أنك لو تُعرض يا محمد بوجهك عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل إذا سألوك ما لا تجد، فإعراضك إنما حياء منهم ورحمة لهم[٤].

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٩٤/١٨.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٨/١٣-١١.

(٣) تفسير العز بن عبد السلام ٦٤٣/١، البحر المحيط لأبي حيان ١٧١/٦، تفسير المراغي ٤٤/١٦.

(٤) جامع البيان ٥٦٩/١٤.

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سأله أحد مالاً ولم يكن عنده ما يعطيه يعرض عنه حياء، فنبهه الله إلى أدب أكمل من الذي تعهده من قبل ويحصل من ذلك تعليم لسائر الأمة[١]. {ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا} انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولا ميسورا، وعدا جميلا، بأن تقول: سيرزقني الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ[٢] الذي يتوافق مع ما فطر عليه رسولنا – عليه الصلاة والسلام – من الحياء العظيم.

الآية الثامنة: قوله تعالى: {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)} [الأنبياء: ٦٥]

يؤخذ من الآية: أن المراد استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وأتوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا فقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا (في) المجادلة بالباطل، واحتجوا على إبراهيم بما هو الحجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} فأقروا بهذه للحيرة التي لحقتهم[٣]. وقيل: قلبوا على رؤوسهم حقيقة؛ لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وانخذالاً مما بهتهم به إبراهيم، فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم[٤].

الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ(١٢)} [السجدة: ١٢، ١٣]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٢/١٥.

(٢) جامع البيان ٥٦٩/١٤، وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي ٤٢٢/١.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي ١٦١/٢٢.

(٤) انظر: جامع البيان ٣٠١/١٦- ٣٠٢.

معنى الآية: أي: لو رأيت يا محمد هؤلاء المنكرين للبعث ناكسوا رؤوسهم، أي: يطأطئونها حياء من ربهم، وندماً على ما فعلوا للذي سلف من كفرهم وإنكارهم للبعث، يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} أي: أبصرنا ما كنا نكذب به من عذابك، ومعادنا إليك، وسمعنا منك، وتصديق ما كانت الرسل تأتنا به وتأمرنا به. وقيل: المخاطبة هنا للمجرمين، والمعنى: قل يا محمد للمجرم: لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك. وجواب لو محذوف، والتقدير: لرأيت ما تعتبر به اعتباراً شديداً[1].

الآية العاشرة: قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)} [الأحزاب: ٣٧] **ومعنى الآية:** الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب. وفي قوله تعالى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} أربعة أقوال:

أحدها: تعلق قلبه الكريم بها ومحبته إياها. قاله ابن عباس. **الثاني:** إيثاره طلاقها. قاله قتادة وابن جريج ومقاتل. **الثالث:** إضماره في نفسه إن طلقها زيد تزوجها هو. قاله ابن زيد. **الرابع:** أن الله تعالى كان أعلمه أنها تكون زوجته، وأن زيداً سيطلِّقها[2]، فلما قال له: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} عاتبه الله تعالى على ذلك. قاله علي بن الحسين. {وَتَخْشَى النَّاسَ} أي: وتخشى قائلتهم ولائمتهم. قال الحسن: "ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه

(١) الهداية لمكي ٥٧٥٥/٩، لباب التأويل للخازن ٢٢٣/٥.
(٢) رموز الكنوز للرسعني ١٦٣/٦.

وسلم آية أشد عليه منها"[١]؛ لشدة حيائه –صلى الله عليه وسلم–، وكراهته أن ينسب إليه من القول أو الفعل ما يتنافى مع حيائه وسنته.

وقد خاف أن يسلط الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، فكان –صلى الله عليه وسلم– يقول لزيد: { أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفاً من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه –صلى الله عليه وسلم– وهو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوّجها، فقالت عائشة: "لو كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه"[٢].

الآية الحادية عشرة: قوله سبحانه: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)} [غافر: ١٩]

معنى الآية: يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها؛ ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حَقّ الحياء، ويَتَّقُوهُ حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. قال ابن عباس في قوله: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} وهو الرجل يدخل على أهل بيت، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غَضّ، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه أنه وَدّ أن لو اطلع على فرجها[٣].

---

(١) رموز الكنوز للرسعني ١٦٣/٦.

(٢) التسهيل لابن جزي ١٥٥٠/١.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١٣٧/٧.

وقال الضحاك: {خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} هو الغمز، وقول الرجل: رأيت، ولم ير؛ أو: لم أر، وقد رأى.

وقال ابن عباس: يعلم الله تعالى من العين في نظرها، هل تريد الخيانة أم لا؟ وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال ابن عباس في قوله: {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا؟. وقال السدي: {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} أي: من الوسوسة(١).

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)} [التحريم: ٣]

معنى الآية: اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحريم الجارية، فإنه لما حرمها قال لحفصة: "لا تخبري بذلك أحدا"، والآخر أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده، والثالث: أنه قوله: "شربتُ عسلاً"، والأول أشهر. وبعض أزواجه: حفصة {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بذلك، فعاقب حفصةَ عن إفشائها لسره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها. وقيل: لم يطلقها. فقوله: {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ} حذف المفعول وهو عائشة. وقوله: {وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ} أي أطلعه على إخبارها به، وقوله: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} أي عاتب حفصة على بعضه، وأعرض عن بعض حياءً وتكريماً وإبقاءً، وحسن عشرة، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٧/٧.

والتقصير في العتاب[١]. والكف عن بعض العتب أبعث على حياء المعتوب وأعون على توبته وعدم عدده إلى فعل مثله [٢].

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١)} [الانفطار: ١٠، ١١]

ومعنى الآية: أن صاحب المراقبة يدع من المعاصي حياء منه تعالى، وهيبة له أكثر مما يدعه من يترك الماضي بخوف عقوبته، وقيل: المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}[٣].

وقد ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: {كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [سورة عبس: ١٦] أنهم الملائكة، يجب أن يكرموا أن يكونوا مع ابن آدم عند خلوته بأهله ، وعند حاجته[٤].

الآية الرابعة عشرة: الدالة على خلق الحياء وأنه من أخلاق الأنبياء والمؤمنين: قوله تعالى: {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢)} [الأعراف: ٢٢] ومثله قوله تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} [طه: ١٢١]

---

(١) التسهيل لابن جزي ٢٤١٢/١، وانظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ٥٤١/٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٤٦/٨.

(٣) روح البيان للخلوتي ٣٠٨/١٠.

(٤) تفسير القرآن للسمعاني ١٧٥/٦.

معنى الآية: قال قتادة في بيان لباسهما: كان ظُفُرًا، ألبسهما الله من الظُفُر لباسًا فلما وقعا في الذنب بدت لهما سوآتهما فاستحَييا وأقبلا وجعلا يرقعان ويلزقان ويصلان {عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب(١). ويجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما(٢). وعندها زال عنهما اللباس، وظهرت عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر. وقيل: كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (٣).

وعن أبي بن كعب، رضي الله عنه، قال: كان آدم رجلا طُوَالا كأنه نخلة سَحُوق، كثير شعر الرأس. فلما وقع بما وقع به من الخطيئة، بَدَتْ له عورته عند ذلك، وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني. فقالت: إني غير مرسلتك. فناداه ربه، عز وجل: "يا آدم، أمنّي تفر؟" قال: "رب إني استحييتك"(٤).

قال عطاء: بلغني أن الله تعالى ناداهما: "أفراراً مني يا آدم؟" قال: "لا، بل حياء منك يا رب، ما ظننت أن أحداً يحلف باسمك كاذبًا"(٥).

ولما أكلا من الشجرة سُقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت

---

(١) الكشف والبيان ٢٢٤/٤، معالم التنزيل للبغوي ٢٢٠/٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٧/٢.

(٣) التسهيل لابن جزي ٤٩٥/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨٨/٢، ح(٣٠٣٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأورده ابن جرير في جامع البيان ٣٥٤/١٢، وقال ابن كثير في تفسيره ٣٩٧/٣: "وقد رواه ابن جرير، وابن مَرْدُويه من طُرُق، عن الحسن، عن أبيّ بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والموقوف أصحّ إسنادا".

(٥) التفسير الوسيط للواحدي ٣٥٧/٢، تفسير القرآن للسمعاني ١٧٢/٢.

معصيتهما، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم(١).

الآية الخامسة عشرة: قال تعالى في سورة الأعراف: {يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} [الأعراف: ٢٦]

معنى الآية: أن الله أنعم على بني آدم حين خلق لهم الثياب التي تسترهم. وقيل: المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة، {وَرِيشًا} أي: لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} لباس معنوي، كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه(٢).

مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما ذكر سبحانه تعالى قصة آدم وفيها ستر السوءات وجعل له في الأرض مستقرّاً ومتاعاً ذكر ما امتنّ به على بنيه وما أنعم به عليهم من اللّباس الذي يواري السوءات والرّياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم. قال مجاهد: نزلت هذه الآية والثلاث بعدها فيمن كان من العرب يتعرى في طوافه بالبيت(٣). فلما ذكر اللباس الحسي نَبّه مرشدًا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع، والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا، وأنفع(٤). وفسّر قوله تعالى {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} بالحياء جمع من المفسرين(٥).

---

(١) تيسير الكريم المنان لابن سعدي ص٥١٤.

(٢) التسهيل لابن جزي ٤٩٥/١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٢٨٢/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٨/١.

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ٥٢٥/١، تفسير القرآن للسمعاني ١٧٥/٢، زاد المسير

ولما الله امتن على بني آدم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي قُصد منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر اللّه للعباد ضروريَّها، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله اللّه ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح. وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع. وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تتكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة[1].

****

لابن الجوزي ٣/١٨٣.

(١) تيسير الكريم المنان لابن سعدي ١/٢٨٥.

المطلب الثالث

آيات كني بها عما يستحيا منه، أو يستقذر

ومن الآيات التي كُني فيها عما يستحيا من ذكره، أو يستقذر؛ فكلما تلاها تالٍ علم يقينًا دلالتها على الحياء، وأنها استبدلت الذي هو خير وأزكى بالذي هو أدنى، واستشعر علو ذوق القرآن في انتقاء واختيار مفرداته وألفاظه؛ فسبحان من تكلم به سبحانه. ومن الأمثلة على ذلك:

الآية الأولى: قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)} [البقرة: ١٨٧]

جمعت الآية ثلاثة أنواع من البيان: **الطباق المعنوي**[(١)]: بقوله: {أُحِلَّ لَكُمْ} فإنه يقتضي تحريماً سابقاً، فكأنه أحل لكم ما حرّم عليكم، أو ما حرّم على من قبلكم. **والكناية**[(٢)] بقوله: {الرَّفَثُ}: وهو كناية عن الجماع[(٣)]. **والاستعارة**

---

(١) هو عبارة عن نوع من أنواع علم البديع، ويقصد به المطابقة بين المعنيين فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السَّعَة والضيق في هذا الخطاب. انظر: البديع لابن المعتز ص١٢٤.

(٢) وهي عبارة عن العدول عن الكلام الدون إلى ما يدل على معناه في لفظ أبهى ومعنى أجل، فيجيء أقوى وأفخم في النفس؛ ومنه اشتقت الكنية، وهو أن يعظم الرجل فلا يدعى باسمه، ومنها كلمة الرفث هنا كناية عن الجماع. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي ٢٧٨/٨.

(٣) قال مكي في الهداية ٦١٦/١: "الرفث عند جميع المفسرين كناية عن الجماع". وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/١: "الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة".

البديعة[١] بقوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} وأفرد اللباس لأنه كالمصدر، تقول: لابست ملابسةً ولباساً"[٢]. وقوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} في ذلك عدول عن التلفظ بلفظ المواقعة إلى لفظ غيره يؤدي معناه، وهو اللباس المتضمن معنى الستر[٣].

الآية الثانية: قوله تعالى:{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا} [البقرة: ٢٣٥]

معنى الآية: المراد بقوله تعالى: {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} كناية عن الجماع. والخطاب بهذه الآية لجميع الناس، والمباشر لحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزويج معتدة، والتعريض هو الكلام الذي لا تصريح فيه، كأنه يعرض لفكر المتكلم به. وأجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، وجوز ما عدا ذلك[٤].

الآية الثالثة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ

---

(١) وهي عبارة عن ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، ومثالها قول أبي الطيب: فتىً يملأ الأفعال رأياً وحكمةً ... وبادرةً أحيان يرضى ويغضب.

انظر: العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني ٢٧٠/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٥٦/٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٠٥/١، فتح القدير للشوكاني ٢٥١/١.

مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)} [النساء: ٤٣]

ومعنى الآية: وأصل الغائط: المطمئن من الأرض الواسع، والجمع: غوط وأغواط وغيطان. وكان الرجل إذا أراد أن يقضى الحاجة أتى الغائط فقضى حاجته، فكُني به عن العذرة [١]. كانوا يتبرّزون هناك فكنّى عن الحدث بالغائط مثل العذرة والحدث، وهو هاهنا كناية عن حاجة البطن[٢]. فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه[٣]. وفيه استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به[٤]. وقوله: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} عن سعيد بن جبير قال: اختلفتُ أنا وعطاء وعبيد بن عمير في قوله: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} فقال عبيد بن عمير: هو الجماع. وقلت أنا وعطاء: هو اللمس. قال: فدخلنا على ابن عباس فسألناه فقال: غُلِب فريقُ الموالي، وأصابت العرب، هو الجماع، ولكن الله يعفُّ ويكني"[٥].

وقال ابن عباس والحسن ومُجَاهِد وقتَادَة: "كُنِّي باللَّمْس عن الجِماع؛ لأن اللَّمْسَ يُوصِل إلى الجِمَاع؛ ولأن اللَّمْس والمَسَّ وردَا في القُرْآن كِناية عن الجماع، فكنى بالملامسة عن الجماع؛ لأنه مما يستهجن التصريح به، أو يستحى منه" [٦].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥٢/٨، الصحاح ٢٨٤/٣.
(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٤/٣.
(٣) لباب التأويل للخازن ٥٣٣/١.
(٤) تيسير الكريم المنان لابن سعدي ٢٢٢/١
(٥) جامع البيان للطبري ٣٩٠/٨.
(٦) اللباب لابن عادل ٤٠٠/٦، روح المعاني للخلوتي ٤٢/٥.

الآية الرابعة: قوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥]

معنى الآية:{ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} كناية عن قضاء الحاجة؛ لأن الذي يأكل الطعام له قضاء الحاجة، ومن كان هكذا لا يصلح أن يكون ربّا(١). وقد كُني بأكل الطعام عن البول والغائط؛ لأنهما منه مسببان، إذ لابد للآكل منهما، لكن استقبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه (٢).

الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠] في الآية مثال للكناية عن الأستاه بالأدبار، فقوله تَعَالَى: {وَأَدْبَارَهُم} كِنَايَةً عَنِ الْأَسْتَاهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَعْنِي أَسْتَاهَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُكَنِّي(٣).

وأخرج الطبري أثرًا عن سعيد بن جبير في قوله: {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُم} قال: إن الله كنى، ولو شاء لقال: "أستاههم"، وإنما عنى بـ"أدبارهم"، أستاههم(٤).

وهذه الأمثلة وغيرها تدل على المستوى العالي في ذوق القرآن الكريم في اختيار ألفاظه، وانتقاء مفرداته، كيف لا؟! وقد قال قائله سبحانه: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)} [فصلت: ٤٢].

****

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٤٣٢/١، غرائب القرآن للنيسابوري ٤٠٧/٦.
(٢) انظر: البرهان للزركشي ٣٠٤/٢، الإتقان للسيوطي ١٢٩/٢.
(٣) انظر: التسهيل لابن جزي ٥٧٢/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٦/٤.
(٤) جامع البيان للطبري ١٦/١٣.

المبحث الثاني
مدح القرآن لأصحاب الحياء والتشنيع على مخالفيهم

المطلب الأول
آيات مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء

من علامات المعرفة الهيبة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} [فاطر: ٢٨] أي العلماء به، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"(١). ومن عرف الله أورثته المعرفة الحياء من الله والتعظيم له والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره(٢). وحياة القلب في قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم(٣). الحياء المحمود هو الذي يدفع صاحبه لفعل الطاعة، ويباعده من المعصية وفعلها.

فيما يلي نماذج من الآيات التي دلّ القرآن على مدح أهلها، وتأييد ما فعلوه، أو التعجب من صنيعهم رضًا بما صنعوا:

الآية الأولى: قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)} [الذاريات: ٢٩] **ومعنى الآية:** أنها ضربت وجهها حياء منهم وتعجباً من ولادتها وهي عجوز {وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} تقديره: قالت أنا

(١) أخرجه البخاري ١٣/١ ح(٢٠) كتاب: الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلمكم بالله». وأن المعرفة فعل القلب.
(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ٤٠٦.
(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٢٥٩/٢.

عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟[١].

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما رأى إبراهيم أنه لا تصل إلى العجل أيديهم نكرهم وخافهم، وإنما كان خوف إبراهيم أنهم كانوا في ذلك الزمان إذا هم أحدهم بأمر سوء لم يأكل عنده، يقول: إذا أكرمت بطعامه حرم علي أذاه، فخاف إبراهيم أن يريدوا به سوءا فاضطربت مفاصله، وامرأته سارة قائمة تخدمهم، وكان إذا أراد أن يكرم أضيافه أقام سارة؛ لتخدمهم، فضحكت سارة وإنما ضحكت أنها قالت: يا إبراهيم وما تخاف إنهم ثلاثة نفر وأنت وأهلك وغلمانك، قال لها جبريل: "أيتها الضاحكة أما أنك ستلدين غلاما يقال له إسحاق ومن ورائه غلام يقال له يعقوب!" فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها! فأقبلت والهة، تقول: "واويلتاه" ووضعت يدها على وجهها استحياء، فذلك قوله تعالى: {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}[٢].

الآية الثانية: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الممتحنة: ١٢] **معنى الآية:** يوضحه قول عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها: {أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ} الآية، قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذًا. فبايعها بالآية[٣]. فانظر لشأن هذه الصحابية الطاهرة العفيفة رضي الله عنها كيف بلغ منها الحياء!.

****

(١) التسهيل لابن جزي ص٢١٥٨.

(٢) الدر المنثور للحلبي ٩٢/٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٩/٨، ١٠٠، تفسير المراغي ٧٦/٢٨.

المطلب الثاني

تشنيع القرآن على من لم يتخلق بالحياء

لقد تحدثت هذه الآيات –التي نستعرضها– بأسلوب ازدرت فيه قومًا قل حياؤهم أو عُدِم، فتنوعت أساليب القرآن الكريم في ذمهم بحسب حجم جرمهم، ومن تلك القصص التي قصها الله تعالى في مواضع عدة من كتابه قصة قوم نبي من الأنبياء، بيد أن قصتهم تدل على درس مهم، وخلق عظيم راعته جميع الشرائع لكن أولئك القوم لم يراعوه؛ لانتكاس فطرهم، وفساد أمزجتهم، ودنو أذواقهم، وخساسة نفوسهم، إنها قصة قوم لوطٍ –عليه السلام– النبي الذي تحمّل المشاقّ مع قومه إرشادًا وتعليمًا، وبيانًا وهداية، ثم مناظرة ومناقشة، وكل تلك الوسائل والطرق لم تجدِ شيئًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعندها حل بهم غضب الله وأليمُ عقابه. وهذه القصة جمعت في طياتها ألفاظًا كثيرة، وأساليب متنوعة تدل على ازدراء الله لهم على حالهم المشين، وطريقتهم الشوهاء. ومن تلك الآيات التي تدل على مهانتهم عند الله قوله تعالى ذكره: { وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)} [هود: ٧٨]

معنى الآية: اتجه قومُ لوط عليه السلام إلى أضيافه يحث بعضُهم بعضًا على الفحش والفجور، وهم يرعدون مع سرعة المشي؛ مما بهم من طلب الفاحشة؛ لمّا أعلمتهم امرأةُ لوط بجمال الأضياف[(١)]، وقد ألفوا الفاحشة حتى وصلوا حد المجاهرة بها[(٢)]. وقد جاء هذا السياق؛ لإثبات ذمهم، وإنكار ما هم

---

(١) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام ٤٨٠/١.

(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٣/١، جامع البيان للطبري ٤٩٩/١٢ ط. هجر، إيجاز البيان للنيسابوري ٤١٩/١.

عليه من عدم الحياء التي أوصلهم إلى هذه الدرجة من السفالة والوقاحة ثم بين الله مستواهم في انحطاط أخلاقهم، وسفالة تفكيرهم، وأنهم قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات، من إتيان الذكور، وغيرها من أنواع الفواحش مجاهرة؛ حتى صارت لهم دَيْدناً وعادة، لا يردعهم حياء، ولا يزجرهم زاجر[١]، بل من لوازم قلة حيائهم اضطروه إلى أن يعرض عليهم الزواج من بناته على قول بعض المفسرين[٢] ثم يأتي لون آخر من أساليب الإنكار عليهم فيقرّعهم نبيهم الصالح بهذا الأسلوب: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} أي: لا تفضحون، والخزي هنا تصح فيه ثلاثة أوجه: أحدها: لا تذلوني بعار الفضيحة. الثاني: لا تهلكوني بعواقب فسادكم. الثالث: الاستحياء[٣]. أي: لا تفعلوا بهم فعلا يلزمني الاستحياء منهم، والضيف يراد به الجمع، قال ابن عباس: "لا تفضحوني في أضيافي" يريد: أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة[٤] ثم أنكر فعلتهم بقوله: {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} قال ابن إسحاق: رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح[٥]. ومما يدل على احتقار الله لهم ما ساقه تعالى من أقوالهم القبيحة، واستهزاءاتهم السخيفة بلوط والمؤمنين معه كما في قوله تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)} [النمل: ٥٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: "عابوهم بما يتمدح به"[٦]. والمعنى: أن لوطًا ومن آمن معه

(١) انظر: رموز الكنوز للرسعني ٢٠١/٣.
(٢) التفسير الوسيط للواحدي ٥٨٣/٢.
(٣) النكت والعيون للماوردي ٤٨٩/٢.
(٤) التفسير الوسيط للواحدي ٥٨٣/٢.
(٥) انظر: لباب التأويل للخازن ٢٤٥/٣.
(٦) انظر: مدارك التنزيل للنسفي ٥٧/٢، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٧٢/١.

يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور لكن قومه – قبحهم الله – جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجه، والبلاء موكل بالمنطق فهم قالوا: {أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } [الأعراف: ٨٢] ومفهوم هذا الكلام: " وأنتم متلوثون بالخبث والقذارة المقتضي لنزول العقوبة بقريتكم ونجاة من خرج منها" ولهذا قال تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)} [النمل: ٥٧] وذلك لما جاءته الملائكة في صورة أضياف وسمع بهم قومه؛ فجاءوا إليه يريدونهم بالشر، وأغلق الباب دونهم واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال، وأنهم جاءوا؛ لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم، وأنهم يريدون إهلاكهم، وأن موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلا إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم، فخرج بأهله ليلًا فنجوا وصبح العذابُ أولئك القوم، فقلب الله عليهم ديارهم، وجعل أعلاها أسفلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك. ولهذا قال في آية أخرى {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣)} [الشعراء: ١٧٣] أي: بئس المطر مطرهم وبئس العذاب عذابهم لأنهم أنذروا وخوفوا فلم ينزجروا ولم يرتدعوا فأحل الله بهم عقابه الشديد(١).

هذه إحدى النماذج التي عرضها القرآن الكريم بأسلوب مِلْؤه التهكم والامتعاض، والازدراء والاحتقار لأولئك القوم الذين فقدوا خلقًا من أعظم محاسن الأخلاق، بل إنه على قدر توافر هذا الخلق ينجذب الخير للمرء وبقدر فقده أو قلته ينأى الخير والدِّين، إنه الحياء، وكفى به خلقًا حميدًا نبيلًا.

وسأعرض هنا بعض النماذج التي ذكرها القرآن بأسلوب؛ خطّأ فيه

(١) انظر: تيسير الكريم المنان للسعدي ص٦٠٧.

أصحابها بقدر ما ارتكبوا من مخالفة **(فعل أو قول ما يخالف الحياء الواجب في تلك المواقف)** وإن كانت درجات ضعف الحياء متفاوتة، لكنها تتفق أنها ليست هي المنهج الشرعي الذي يحبه الله ويرضاه، ومن تلك النماذج:

الآية الأولى: قوله تعالى: {قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)} [المائدة: ٢٤]

فبنو إسرائيل في هذا المقام تركوا آداب الخطاب فصرّحوا ببيان الجحد، ولم يحتشموا من مجاهرة الرد(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ(٣٢)}[يوسف:٣٢]

يعني: فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه، وإنما صرحت بذلك؛ لأنها علمت أنه لا ملامة عليه منهن، وأنهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم إن امرأة العزيز قالت: {وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ} يعني: وإن لم يطاوعني بما دعوته إليه؛ ليعاقبن بالسجن والحبس، وسيكون من الأذلاء المهانين، فقال النسوة ليوسف – بكل وقاحة وصفاقة وانعدام للحياء –: "أطع مولاتك فيما دعتك إليه" فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)} [يوسف: ٩٥]

من تفسير الحسن لهذه الآية: أنه العقوق(٣) . وعن قتادة: أنهم قالوا له هذه القالة؛ أي: من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمةً غليظة، لم يكن

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٤١٧/١.

(٢) انظر: لباب التأويل للخازن ٢٨١/٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ .

ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، فكيف وهو والد ونبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام [١]. ولولا أن هؤلاء الأسباط لهم قدم صدق عند ربهم لوسع المتكلم أن يشنع فعلتهم مع أبيهم، لكن في هذا الموقف لاينطلق اللسان بما يشاء. ولعلهم فعلوا بعد هذا الموقف ما يكفر عنهم إثم هذه الخطيئة. والله المستعان.

الآية الرابعة: قوله تعالى: {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)} [النحل: ٥٩]

ومعنى (التّواري): الاختفاء، مشتقّ من الوراء وهو جهة الخلف. (ومِن) في قوله تعالى: {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ} للابتداء المجازي المفيد معنى التعليل، لأنه يقال: فعلت كذا من أجل كذا، والمعنى: يتوارى من أجل تلك البشارة؛ لأنه يتوارى حياء من الناس؛ فيبقى متوارياً من قومه أياماً حتى تُنسى قضيّته. فهو يتوارى ويتردّد بين أحد هذين الأمرين، بحيث يقول في نفسه: أأمسكه على هُون أم أدسّه في التراب؟!. والهُون: الذلّ. والدسّ: إخفاء الشيء بين أجزاء شيء آخر كالدفن. والمراد: الدّفن في الأرض وهو الوأد. وكانوا يَئِدون بناتهم، بعضُهم يئد بحدثان الولادة، وبعضهم يئد إذا يفعت الأنثى ومشت وتكلّمت، أي حين تظهر للناس لا يمكن إخفاؤها. وذلك من أفظع أعمال الجاهلية، وكانوا متمالئين عليه ويحسبونه حقّاً للأب، فلا ينكرها الجماعة على الفاعل؛ ولذلك سمّاه الله حكماً بقوله تعالى: {أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)} [النحل: ٥٩] وأعلن ذمّهُ بحَرف (ألاَ)؛ لأنه جور عظيم قد تَمَالأُوا عليه وخوّلوه للناس ظلماً للمخلوقات، فأسند الحكم إلى ضمير الجماعة مع أن الكلام كان جارياً على فعل واحد غير معيّن[٢].

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٢٥٧/١٦.

(٢) انظر: البحر المديد للفاسي ٤٦/٤، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٥/١٤.

الخاتمــة

بعد هذه الرحلة العلمية مع خلق فضيل من أخلاق الإسلام أصل إلى خاتمته، والتي أبين فيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

أولا: نتائج البحث:

١- الحياء لغة له تعريفات متعددة متقاربة المعاني ومنها: المسلم الوسط المحمود، وفي الاصطلاح كذلك تعددت تعريفاته ومنها: خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح.

٢- من الألفاظ ذات الصلة بالحياء: الخجل، وقد يستعمل الحياء بمعنى الخجل، وعند التحقيق نجد بينهما فروقا مبينة في البحث. وله أضداد منها: الوقاحة، والصفاقة، والبذاءة.

٣- جاء الكتاب والسنة بتعظيم خُلق الحياء والاهتمام به، والمثل الأعلى نبي الله صلوات الله وسلامه كان أشد حياء من العذراء في خدرها.

٤- الحياء أنواع منها: غريزي ومكتسب جمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسميه بعضهم: نفساني وإيماني.

٥- من أهم أقسامه من جهة المستحيا منه: الحياء من الله، الحياء من الملائكة، الحياء من الناس، الحياء من النفس.

٦- أعظم سبب لذهاب الحياء: اقتراف الذنوب والمعاصي.

٧- الآيات التي تدل على الحياء أنواع، منها: آيات نصت على خُلق الحياء (٤) آيات، وآيات دلت على الحياء بمعناها (١٥) آية، آيات كني بها عما يستحيا منه أو يستقذر (٥) آيات، وآيات مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بخلق الحياء (آيتان)، آيات شُنّع فيها على فاقدي الحياء: (٤) آيات، وكذلك قصة لوط عليه السلام مع قومه كلها في هذا الموضوع.

ثانيا: توصيات الباحث:

بعد بيان ما سبق، ودراسة هذا الموضوع المهم، فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- تكثيف التوعية من الوالدين والمربين والأفراد، وكل من له تأثير في المجتمع؛ بضرورة التخلق بالحياء، وأن ذلك سيدفع الله به بلاءً مستطيرًا، وشرًّا وبيلًا.

٢- إن تعميق الكتابات والدراسات وتأصيلها -خاصة ما يتعلق منها بالكتاب والسنة - حول الحياء باتت في هذا الزمن أشد ضرورة من ذي قبل.

٣- الكتابة عن الحياء في القرآن، والاهتمام بالمزيد من الدراسات والأبحاث في بيان هذه الخُلق العظيم، ودراسته في القرآن الكريم من خلال مواعظ القرآن الكريم وأمثاله، وقصصه وهداياتها. خاصة تلك القصص التي أبرزت الحديث عن خلق الحياء بوضوح وجلاء مثل: (حياء آدم عليه السلام وزوجه، حياء النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة حين طعموا في بيته، وحياؤه في قصة زينب رضي الله عنها وزواجه ρ منها، وحياء يوسف عليه السلام حين مراودة امرأة العزيز له، وحياء موسى عليه السلام من قومه، وحياء البنتين من موسى، وحياء مريم من قومها حين جاءها المخاض، ومن القصص التي شنعت على من قل حياؤهم قصة قوم لوط (عليه السلام) وغيرها من القصص القرآنية العظيمة التي تبين قيمة هذا الخلق النبيل.

٤- دراسة خلق الحياء في القرآن الكريم دراسات أدبية وبلاغية تفسيرية.

وبالله التوفيق وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

فهرس المصادر والمراجع

١- **أسباب نزول القرآن**، علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن النيسابوري، الشافعي، (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح- الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢- **إسفار الفصيح، المؤلف:** محمد بن علي أبو سهل الهروي النحوي، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، المؤلف: أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، ط٢، ١٣٦٩، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٥- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**' المؤلف: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، أبو سعيد، (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦- **بحر العلوم**، المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، أبو الليث، (المتوفى: ٣٧٣هـ)، المحقق: محمود مطرجي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٧- **البحر المحيط**، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض،

الطبعة: الأولى: دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٨- **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، أبوعبد الله، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٩- **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمّد بن محمّد ابن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى، الزَّبيدي، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٠- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المؤلف: أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١١- **التسهيل لعلوم التنزيل**، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد، أبو القاسم، ابن جزي الكلبي الغرناطي، (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٢- **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي، تعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار باوزير للنشر والتوزيع- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٣- **تفسير عبد الرزاق**، المؤلف: عبد الرزاق بن همام الحميري اليماني

الصنعاني، أبو بكر، (المتوفى: ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده ، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس التميمي، أبو محمد، الرازي ابن أبي حاتم، (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ.

١٥- **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦- **تفسير القرآن**، المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (٤٢٦-٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر دار الوطن - الرياض، سنة النشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، مكان النشر السعودية.

١٧- **تفسير القرآن العزيز**، المؤلف: محمد بن عبد الله بن عيسى، أبوعبدالله، ابن أبي زَمَنِين المالكي، الإلبيري، المري، (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: حسين بن عكاشة، محمد الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٨- **التفسير الكبير، مفاتيح الغيب**، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٩- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، المؤلف: عبد الله ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، أبو البركات ، (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٠- **تهذيب اللغة**، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبومنصور، (المتوفى:٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢١- **التوقيف على مهمات التعاريف**، المؤلف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي الحدادي المناوي، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، المؤلف: زين الدين محمد، عبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي ، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمن ابن ناصر بن عبد الله السعدي، (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤- **جامع البيان في تفسير القرآن للطبري**، المؤلف: أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: مكتب التحقيق بدار هجر، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى.

٢٥- **جامع العلوم والحكم، المؤلف:** أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

٢٦- **الجامع الصحيح، سنن الترمذي،** المحقق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٧- **الجامع لأحكام القرآن،** المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله، (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٨- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، صحيح البخاري،** المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أبو عبدالله ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩- **جمهرة اللغة،** المؤلف: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر ، (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٣٠- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)،** المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت-

٣١- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،** المؤلف: محمد بن حبان البستي أبوحاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب

العلمية – بيروت ، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٣٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: ٢٧، الطبعة: ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٣٣- **روح البيان**، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي، دار النشر / دار إحياء التراث العربي.

٣٤- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: على عبد البارى عطية، المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٥- **سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله ابن ماجة، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٣٦- **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، المؤلف: علي بن خلف بن عبدالملك، أبو الحسن، ابن بطال ، (المتوفى: ٤٤٩هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة، بيروت دار العلم، ١٤٠٧هـ.

٣٨- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، المؤلف: الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، نظام الدين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت،

الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٩- **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير- دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٠- **كتاب الكليات، المؤلف:** أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٤١- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٤٢- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (المتوفى: ٤٢٧هـ)، المحقق: ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٣- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

٤٤- **لباب النقول في أسباب النزول**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: أحمد عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٥- **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى.

٤٦- **لطائف الإشارات**، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن القشيري، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: إبراهيم بسيوني.

٤٧- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي، أبو محمد، (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٤٩- **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٥٠- **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥١- **المعجم الوسيط**، المؤلف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، المحقق: مجمع اللغة العربية، الناشر: دار الدعوة.

٥٢- **معاني القرآن الكريم**، المؤلف: النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن يونس المرادي النحوي، أبو جعفر، (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى– مكة المرمة، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٩هـ.

٥٣- **معاني القرآن وإعرابه**، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم السَّرِي بن سَهل،

الزَّجَّاج، (المتوفى ٣١١ هـ)، الناشر: عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٤- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف:** محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٥- **المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: الحسين بن محمد بن المفضل، أبوالقاسم، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان داودى، الناشر: دار العلم الدار الشامية- دمشق، ١٤١٢هـ.

٥٦- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: محيي الدين يحيى ابن شرف النووي، أبو زكريا، (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥٧- **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المؤلف:** أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٨- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، المؤلف: إبراهيم بن عمر ابن حسن الرباط البقاعي، (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٥٩- **النكت والعيون**، المؤلف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أبو الحسن، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٠- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي(المتوفى: ٤٣٧هـ)،

المحقق: أساتذة بكلية الدراسات العليا – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٦١- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**' المؤلف: علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

SOURCE AND REFERENCES

1-Reasons for the descent of the Koran, Ali bin Ahmed al-Wahidi, Abu al-Hassan al-Nisaburi, El-Shafei (deceased: 468H), investigator: Issam bin Abdul-Mohsen al-Hamidan, publisher: Dammam, second edition, 1412H-1992.
2-Isfar Al-Fasaih, author: Mohammed bin Ali Abu Sahl Al-Herwi Al-Nahwi, investigation: Ahmed bin Said bin Mohammed Al-Qashash, publisher: Deanship of Scientific Research at Islamic University, Medina, First, 1420h.
3. The lights of the statement in the explanation of the Koran in the Koran, author: Mohammed Al-Amin bin Mohammed Al-Mukhtar Al-Jaqani Al-Shinqiti (deceased: 1393 AH), publisher: Dar Al-Thakr Printing, Publishing and Distribution ishing, Beirut, 141415 Ah-1995.
4. Requiring a straight Sadar to violate the owners of hell, author: Ahmed Ibn Abdul Halim bin Timiya al-Harani Abu al-Abbas, publisher: Al-Sunna Al-Mohammadiyah Press, Cairo, 2, 1369, investigation: Mohamed Hamid al-Faki.
5-Anwar Al-Tanzil and Secrets of Interpretation, Author: Nasser Al-Din Abdullah bin Omar Al-Shirazi Al-Bawawi, Abu Sa 'id, (deceased: 685H), Investigator: Mohammed

Abdulrahman Al-Marashli, Publisher: Arabic heritage house - Beirut, first edition 1418 ah.
6-Sea of Science, author: Nasr bin Mohammed bin Ahmed al-Samarkandi, Abu al-Laith (deceased: 373H), investigator: Mahmoud Matraj, publisher: Dar al-Fikr - Beirut.
Ocean Sea, Author: Mohammed bin Youssef Famous Abiy
7-Hayyan Al-Andalusi, Investigation: Sheikh Adil Ahmed Abdel-Marouh - Sheikh Ali Mohammed Mu 'awad, First Edition: Publishing House: Scientific Books House - Lebanon - Beirut- 1422 Ah-2001.
8-The proof in the sciences of the Qur'an, author: Badr al-Din Muhammad bin Abdullah al-Zarkashi, Abu Abdullah, editor: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, publisher: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi, Issa al-Babi al-Halabi and his partners, first edition, 1376 AH - 1957 AD.
9-Taj Al-Arous from the Jewels of the Dictionary, author: Muhammad bin Muhammad bin Abdul-Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Fayd, Murtada, Al-Zubaidi, (deceased: 1205 AH), editor: A group of investigators, publisher: Dar Al-Hidaya.
10- Tuhfat al-Ahwadhi with an explanation of Jami` al-Tirmidhi, author: Abu al-Ala Muhammad Abd al-Rahman bin Abd al-Rahim al-Mubarakfuri, (deceased: 1353 AH), publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut.
11- Al-Tasheel for the Sciences of Revelation, Author: Muhammad bin Ahmad bin Muhammad, Abu Al-Qasim, Ibn Jazi Al-Kalbi Al-Gharnati, (deceased: 741 AH), Editor: Abdullah Al-Khalidi, Publisher: Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company - Beirut, Edition: First, 1416 e.
12-Al-Hassan's comments on Sahih Ibn Hibban and distinguishing its weak from its authentic, and its irregular from its preserved, author: Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad, Abu Hatim, al-Darimi, al-Busti, (deceased: 354 AH), arranged by: Abu al-Hasan Ali ibn Balban al-Farsi, comments: Muhammad Nasir al-Din Al-Albani, Publisher: Bawazir Publishing and Distribution House - Jeddah, First Edition, 1424 AH - 2003 AD.
13- Tafsir Abd al-Razzaq, author: Abd al-Razzaq bin

Hammam al-Himyari al-Yamani al-San'ani, Abu Bakr, (deceased: 211 AH), study and investigation: Mahmoud Muhammad Abduh, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, edition: first, 1419 AH.
14- Interpretation of the Great Qur'an by Ibn Abi Hatim, author: Abd al-Rahman bin Muhammad Ibn Idris al-Tamimi, Abu Muhammad, al-Razi Ibn Abi Hatim, (deceased: 327 AH), investigator: Asaad Muhammad al-Tayeb, publisher: Nizar Mustafa al-Baz Library - Kingdom of Saudi Arabia, Edition: Third, 1419 AH.
15- Interpretation of the Great Qur'an, author: Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi al-Basri, then al-Dimashqi, Abu al-Fida', (deceased: 774 AH), editor: Sami bin Muhammad Salama, publisher: Dar Taiba for Publishing and Distribution, edition: second, 1420 AH - 1999 AD.
16- Interpretation of the Qur'an, author: Abu Al-Muzaffar Mansur bin Muhammad bin Abdul-Jabbar Al-Sam'ani, (426-489 AH), edited by Yasser bin Ibrahim and Ghoneim bin Abbas, publisher Dar Al-Watan - Riyadh, year of publication 1418 AH - 1997 AD, place of publication Saudi Arabia.
17- Interpretation of the Mighty Qur'an, author: Muhammad bin Abdullah bin Issa, Abu Abdullah, Ibn Abi Zamanin al-Maliki, al-Ilbiri, al-Marri, (deceased: 399 AH), editor: Hussein bin Okasha, Muhammad al-Kanz, publisher: Al-Farouq Al-Hadithah - Cairo, Edition: The first, 1423 AH - 2002 AD.
18- Al-Tafsir Al-Kabir, Keys to the Unseen, author: Muhammad bin Omar bin Al-Hasan Al-Taymi Al-Razi, Abu Abdullah, Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Ray, (deceased: 606 AH), publisher: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Edition: Third, 1420 AH.
19- Tafsir al-Nasafi (Plances of Revelation and Facts of Interpretation), author: Abdullah Ibn Ahmad Ibn Mahmoud Hafez al-Din al-Nasafi, Abu al-Barakat, (deceased: 710 AH), verified and its hadiths produced by: Yusuf Ali Badawi, reviewed and presented to him by: Muhyiddin Deeb Masto, publisher : Dar Al-Kalam Al-Tayeb - Beirut, first edition, 1419 AH - 1998 AD.
20- Refinement of the Language, author: Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, (deceased:

370 AH), editor: Muhammad Awad Marib, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition, 2001 AD.
21- Al-Taqeef on the Important Definitions, author: Abdul Raouf bin Taj Al-Arifin Ibn Ali Al-Hadadi Al-Manawi, (deceased: 1031 AH), publisher: Alam Al-Kutub - Cairo, first edition, 1410 AH - 1990 AD.
22- Al-Taysir Bi Sharh Al-Jami' Al-Saghir, author: Zain Al-Din Muhammad, Abdul Raouf Ibn Taj Al-Arifin Ibn Ali Al-Hadadi Al-Manawi, (deceased: 1031 AH), Publisher: Imam Al-Shafi'i Library - Riyadh, Edition: Third, 1408 AH - 1988 AD.
23- Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, author: Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah al-Saadi, (deceased: 1376 AH), editor: Abdul Rahman bin Mu'alla al-Luwaihiq, publisher: Al-Resala Foundation, edition: first, 1420 AH - 2000 AD.
24- Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an by al-Tabari, author: Abu Jaafar Muhammad Ibn Jarir al-Tabari (died: 310 AH), investigator: Dar Hijr Investigation Office, publisher: Dar Hijr, first edition.
25- Jami' al-Ulum wa al-Hikam, author: Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ahmad bin Rajab al-Hanbali, publisher: Dar al-Ma'rifa - Beirut - first edition, 1408 AH.
26- Al-Jami' Al-Sahih, Sunan Al-Tirmidhi, Editor: Ibrahim Atwa Awad, Publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Company and Press - Egypt, Second Edition, 1395 AH - 1975 AD.
27- Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, author: Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr Al-Ansari Al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi, Abu Abdullah, (deceased: 671 AH), editor: Ahmad al-Baradouni, Ibrahim Tfayesh, publisher: Dar al-Kutub al-Misriyah - Cairo, second edition, 1384 AH. - 1964 AD.
28- Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih, a summary of the affairs of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and his Sunnahs and days, Sahih Al-Bukhari, author: Muhammad bin Ismail Al-Bukhari Al-Jaafi, Abu Abdullah, editor: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, publisher: Dar Touq Al-Najat (illustrated by Al-Sultaniya Adding the numbering of Muhammad Fouad Abdel Baqi), Edition: First, 1422 AH.

29- Jamharat al-Lughah, author: Muhammad bin al-Hasan bin Duraid al-Azdi, Abu Bakr, (deceased: 321 AH), editor: Ramzi Munir Baalbaki, publisher: Dar al-Ilm Lil-Millain - Beirut, first edition, 1987 AD.
30- The sufficient answer for those who ask about the cure (the disease and the cure), author: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya (deceased: 751 AH), publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut-
31- Rawdat al-Aqla' wa Nuzhat al-Fadla', author: Muhammad bin Hibban al-Basti Abu Hatim, edited by: Muhammad Muhyiddin Abd al-Hamid, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1397 AH - 1977 AD.
32- Zad al-Ma'ad fi Huda Khair al-Ibad, author: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), publisher: Al-Risala Foundation, Beirut - Al-Manar Islamic Library, Kuwait, edition: 27, edition: 1415 AH / 1994 AD. .
33- Ruh Al-Bayan, author: Ismail Haqqi bin Mustafa Al-Istanbouli Al-Khalouti, Publishing House / Arab Heritage Revival House.
34- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, investigator: Ali Abd al-Bari Attiya, author: Shihab al-Din Mahmoud Ibn Abdullah al-Husseini al-Alusi, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1415 AH.
35- Sunan Ibn Majah, author: Muhammad ibn Yazid al-Qazwini, Abu Abdullah ibn Majah, (deceased: 273 AH), editor: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, publisher: Dar Ihya al-Kutub al-Arabi.
36- Explanation of Sahih al-Bukhari by Ibn Battal, author: Ali bin Khalaf bin Abdul Malik, Abu al-Hasan, Ibn Battal, (deceased: 449 AH), editor: Abu Tamim Yasser Ibn Ibrahim, publisher: Al-Rushd Library - Riyadh, second edition, 1423 AH - 2003 AD. .
37- Al-Sihah Taj Al-Lughah and Sahih Arabic, author: Ismail bin Hammad Al-Jawhari, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, fourth edition, Beirut Dar Al-Ilm, 1407 AH.
38- Oddities of the Qur'an and Oddities of the Criterion,

author: Al-Hasan bin Muhammad bin Hussein Al-Qomi Al-Naysaburi, Nizam Al-Din, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1416 AH - 1996 AD.
39- Fath al-Qadeer, author: Muhammad bin Ali bin Muhammad al-Shawkani al-Yamani, (deceased: 1250 AH), publisher: Dar Ibn Kathir - Damascus, first edition, 1414 AH.
40- The Book of Colleges, author: Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafawi, publishing house: Al-Resala Foundation - Beirut - 1419 AH - 1998 AD, edited by: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry.
41- Al-Kashshaf fi Facts of Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, author: Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari al-Khwarizmi, publishing house: Arab Heritage Revival House - Beirut - edited by: Abd al-Razzaq al-Mahdi.
42- Revelation and explanation of the interpretation of the Qur'an, author: Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim Al-Thaalabi, Abu Ishaq, (deceased: 427 AH), investigator: Ibn Ashour, review and proofreading: Nazir Al-Saadi, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition, 1422 AH - 2002 AD.
43- Chapter on Interpretation in the Meanings of Revelation, author: Aladdin Ali bin Muhammad Al-Baghdadi, known as Al-Khazen, publishing house: Dar Al-Fikr - Beirut / Lebanon - 1399 AH / 1979 AD.
44- Lubab al-Naqul fi Asbab al-Nuzul, author: Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, (deceased: 911 AH), compiled and authenticated by: Ahmad Abd al-Shafi, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut.
45- Lisan al-Arab, author: Muhammad bin Makram bin Manzur al-Afriqi al-Misri, publisher: Dar Sader - Beirut, first edition.
46- Lataif Al-Isharat, author: Abdul Karim bin Hawazin Al-Qushayri, publisher: Egyptian General Book Authority, edited by: Ibrahim Bassiouni.
47- The brief editor in the interpretation of the dear book, author: Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Atiya al-Andalusi al-Muharbi, Abu Muhammad, (deceased: 542 AH), editor: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, publisher: Dar al-Kutub

al-Ilmiyya - Beirut, edition: first, 1422 AH. .
48- Madarij al-Salikin Between the Houses of You we worship and You we seek help, author: Muhammad Ibn Abi Bakr Ayoub al-Zari Abu Abdullah, publisher: Arab Book House - Beirut - second edition, 1393 - 1973, edited by: Muhammad Hamid al-Faqi.
49- The Belief of the Sunnis and the Community in the Unification of Names and Attributes, author: Muhammad bin Khalifa bin Ali Al-Tamimi, publisher: Adwaa Al-Salaf, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, first edition 1419 AH/1999 AD.
50- Dictionary of Language Standards, author: Ahmed bin Faris bin Zakaria, editor: Abdul Salam Muhammad Haroun, publisher: Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
51- The Intermediate Dictionary, author: Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, Hamid Abdel Qader, Muhammad Al-Najjar, editor: Arabic Language Academy, publisher: Dar Al-Da'wa.
52- Meanings of the Holy Qur'an, author: Al-Nahhas Ahmad bin Muhammad bin Ismail bin Yunus Al-Muradi, grammarian, Abu Jaafar (deceased: 338 AH), editor: Muhammad Ali Al-Sabouni, publisher: Umm Al-Qura University - Mecca Al-Marmah, edition: first, 1409 AH.
53- Meanings of the Qur'an and its parsing, author: Abu Ishaq Ibrahim Al-Sari bin Sahl, Al-Zajjaj, (died 311 AH), publisher: Alam Al-Kutub - Beirut, first edition, 1408 AH - 1988 AD.
54- The Key to the House of Happiness and the publication of the Guardianship of Knowledge and Will, author: Muhammad Ibn Abi Bakr Ayoub Al-Zari Abu Abdullah, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.
55- Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an, author: Al-Hussein bin Muhammad bin Al-Mufaddal, Abu Al-Qasim, Al-Raghib Al-Isfahani, editor: Safwan Adnan Daoudi, publisher: Dar Al-Ilm Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, 1412 AH.
56- Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, author: Muhyi al-Din Yahya Ibn Sharaf al-Nawawi, Abu Zakaria, (deceased: 676 AH), publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut, edition: second, 1392 AH.

57- Encyclopedia of Sahih Al-Masbour, from interpretation based on the hadiths, author: A. Dr.. Hikmat bin Bashir bin Yassin, Publisher: Dar Al-Mathir for Publishing, Distribution and Printing - Medina Al-Nabawiyah, First Edition 1420 AH - 1999 AD.
58- Nazm al-Durar fi Tasnab al-Ayat al-Surah, author: Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Ribat al-Biqa'i, (deceased: 885 AH), publisher: Dar al-Kitab al-Islami - Cairo.
59- Jokes and Eyes, author: Ali bin Muhammad bin Habib Al-Mawardi Al-Basri, Abu Al-Hasan, investigator: Al-Sayyid bin Abdul Maqsoud bin Abdul Rahim, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.
60- Guidance to reaching the end in the science of the meanings of the Qur'an, its interpretation, its rulings, and some of the arts of its sciences, author: Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Hamush al-Qaysi al-Qayrawani and then Andalusi al-Qurtubi al-Maliki (deceased: 437 AH), investigator: professors at the College of Graduate Studies - University of Sharjah, Under the supervision of Prof. Dr. Al-Shahid Al-Busheikhi, Publisher: Al-Qur'an and Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah, First Edition, 1429 AH - 2008 AD.
61- The Mediator in the Interpretation of the Glorious Qur'an, author: Ali bin Ahmed bin Muhammad Al-Wahidi, Al-Naysaburi, Al-Shafi'i, (deceased: 468 AH), edited by: Adel Ahmed Abdel Mawjoud and others, publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1415 AH - 1994 AD .

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الملخص باللغة العربية.	١٩٦٩
٢	ABSTRACT	١٩٧٠
٣	المقدمة.	١٩٧١
٤	التمهيد: مفهوم الحياء وأهميته وأنواعه، وفيه أربعة مطالب:	١٩٨٠
٥	المطلب الأول: مفهوم الحياء، والألفاظ ذات الصلة به.	١٩٨٠
٦	المطلب الثاني: أهمية الحياء وفضائله.	١٩٨٥
٧	المطلب الثالث: أنواع الحياء وأقسامه.	١٩٨٨
٨	المطلب الرابع: أصل تولد الحياء والأسباب المذهبة له.	١٩٩١
٩	المبحث الأول: آيات الحياء في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:	١٩٩٢
١٠	المطلب الأول: الآيات التي نصّت على خلق الحياء.	١٩٩٢
١١	المطلب الثاني: الآيات التي دلت على خلق الحياء بمعناها.	٢٠٠٥
١٢	المطلب الثالث: آيات كني بها عما يستحيا منه، أو يستقذر.	٢٠٢١
١٣	المبحث الثاني: مدح القرآن لأصحاب الحياء والتشنيع على مخالفيهم، وفيه مطلبان:	٢٠٢٥
١٤	المطلب الأول: آيات مُدح أصحابها؛ لتخلقهم بالحياء.	٢٠٢٥
١٥	المطلب الثاني: تشنيع القرآن على من لم يتخلق بالحياء.	٢٠٢٧
١٦	الخاتمة.	٢٠٣٢
١٧	فهرس المصادر والمراجع.	٢٠٣٤
١٨	فهرس الموضوعات.	٢٠٥١

تم بحمد الله تعالى